الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون -تيارت-

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط بعنوان

جغرافية الموارد المائية في المغرب الأوسط من خلال المصادر الجغرافية والتاريخية

من إعداد الطلبة

- حمـــام أحـــلام
- بـغــدادي هـــدى

تحت إشراف:

د. عصنون صالح

لجنـــة المناقشـــة

كيـــــوس شهرزاد	جامعة ابن خلدون تيارت	رئيسا
عصنون صـــــالح	جامعة ابن خلدون تيارت	مشرفا
خنيوي عبد الرزاق	جامعة ابن خلدون تيارت	مناقشا

السنة الدراسية 1446 – 1447 هـ /2024 – 2025م

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبتوفيقه تتحقق الغايات.

نتقدم نحن الطالبتين بخالص الشكر وعظيم الامتنان لأستاذنا الفاضل **عصنون صالح**، مشرفنا الكريم، على ما قدمه لنا من دعم وتوجيه علمي طيلة فترة إعداد هذه المذكرة، وعلى صبره وملاحظاته القيمة التي كان لها الأثر الكبير في إثراء هذا العمل. فله منا كل التقدير والاحترام.

كما نتوجه بالشكر إلى كافة أساتذة قسم التاريخ، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، على ما بذلوه من جهد في تعليمنا وتكويننا، وعلى ما زرعوه فينا من قيم علمية وأخلاقية ستظل راسخة في مسيرتنا المستقبلية.

ولا يفوتنا أن نعبر عن عظيم امتناننا لكل من ساندنا ووقف إلى جانبنا من قريب أو بعيد، خلال هذا المشوار العلمي.

إهداء

إلى أبي، لكَ كل التقدير.

إلى أمي، يا من منحتني الحب والدعاء، وكنت لي السند في كل مراحل هذا المشوار، مهما كتبت فلن أفيكَ حقكَ، فكل نجاح لي هو امتداد لتعبكَ وحنانكَ.

إلى إخوتي الأعزاء، دعمكم كان نورًا في طريقي. وإلى نفسي، لأنكَ لم تستسلمي، ووصلت رغم كل شيء.

-حمام أحلام-

إهداء

اهدي هذا العمل الى الوالدين الكريمين رمز العطاء والتضحية

الى اخواني الذين كانوا سندا وعونا

الى أصدقائي وزملائي الذين شاركوني رحلة العلم بكل تفاصيلها

الى اساتذتي الكرام منارات العلم والنصح

اهديكم هذا العمل المتواضع.

-بغدادي هدى-

قائمة المختصرات:

ص: صفحة

تح: تحقيق

تع: تعليق

تر: ترجمة

مر: مراجعة

مج: مجلد

ط: طبعة

م: ميلادي

هـ: هجري

ت: توفي

دط: دون طبعة

دت: دون تاريخ

ع: العدد

ق: القرن

دم: دون مكان

P: page

المقدمة

مقدمة:

يعتبر الماء من أهم العناصر الأساسية للوجود الإنساني على وجه الأرض في كافة أرجاء المعمورة فهو عصب الحياة وشريانها الرئيسي فحيث ما وجد الماء وجدت الحياة، فهو دليل ملازمة الإنسان في الكون منذ بعثه في الأرض وخلق البشرية، كما أن الماء من جهة أخرى هو الأصل البشري المتواجد في الكون والمؤثر في مختلف مناحي الحياة لقوله تعالى { وَهُوَ ٱلَّذِے خَلَقَ مِنَ ٱلۡمَآءِ بَشَرا فَجَعَلَهُۥ نَسَبا وَصِهۡرا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرا ۗ }[1] لقد جعل الله سبحانه وتعالى في الماء حياة الأرض، بل كان الماء قبل خلق السماوات والارض، حيث قال تعالى { وَهُوَ ٱلَّذِے خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡاَرۡضَ فِے سِتَّةِ أَيَّام وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَے ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلا ۗ }[2] وظاهر الآية الكريمة معناه أنه قبل أن يخلق الله عز وجل السماوات والأرض لم يكن في الوجود سوى عالم الماء ومن فوقه عرش الله، ثم حدث أن خلق الله الكون الذي من حولنا وأوجدنا فيه[3].

شكلت الموارد المائية عبر التاريخ إحدى الركائز الأساسية التي قامت عليها الحضارات وتطورت بفضلها المجتمعات إذ ارتبطت الحياة البشرية منذ القدم بوجود الماء سواء في توجيه الاستقرار البشري أو في تشكيل الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية. وقد احتلت بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط مكانة مهمة من هذه الزاوية لما يميزها من تنوع بيئي ومناخي، وأنتج هذا التفاوت بدوره توزيعا مختلفا لموارد الماء ما أثر بشكل في أنماط العيش والتفاعل بينها وبين مختلف المجالات والأنشطة البشرية.

---

[1] سورة الفرقان الآية 54

[2] سورة هود الآية 7

[3] فتحي عبد العزيز العبادسة، الماء في القرآن الكريم، مذكرة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة 1422ه/2002م

ومن هنا جاء موضوع دراستنا موسوما بـ: "جغرافية الموارد المائية في المغرب الأوسط من خلال المصادر الجغرافية والتاريخية".

وتكمن أهمية هذا الموضوع كون عنصر الماء من المواضيع الحيوية والاستراتيجية في تاريخ المغرب الأوسط لما له من دور محوري في تحقيق الاستقرار السياسي والأمن الغذائي وضمان التنمية الاقتصادية والاجتماعية والهدف من دراسة جغرافية الموارد المائية في المغرب الأوسط ليس فقط تتبع أماكن تواجد الماء أو مصادره، بل تتعدى ذلك إلى فهم أعمق لأنماط الاستغلال التي عرفتها المنطقة وآليات تسيرها والعوامل التي كانت تحكمها هذه الموارد، كما تحاول هذه الدراسة اكتشاف مدى قدرة الإنسان الوسيط في بلاد المغرب الأوسط على التكيف مع معطيات البيئة من خلال تطوير تقنيات استغلال محلية مثل الآبار والقنوات والسدود الصغيرة التي شكلت بنية تحتية ضمنت استقرار مختلف القطاعات.

لقد جاء اختيارنا للموضوع لما تمثله الموارد المائية من أهمية بالغة في حياة الإنسان ولتسليط الضوء على واقع الموارد المائية في المغرب الأوسط وكذلك من أجل فهم وإبراز أهمية الماء في التخطيط الزراعي والصناعي والعمراني.

وبما ان الدراسة متعلقة بجغرافية الماء في بلاد المغرب الأوسط فسيكون من الانسب التطرق الى تبيان أهمية هذه الموارد في مجتمع المغرب الأوسط خلال فترة العصر الوسيط بعد دراسة توزيعها والعوامل الطبيعية المؤثرة عليها وكيفيات وسبل استغلالها من طرف الانسان. ومنه فان السؤال المحوري الذي بنيت عليه الإشكالية العامة هو:

إلى أي مدى تمكنت المصادر الجغرافية و التاريخية من رسم صورة متكاملة عن الموارد المائية في المغرب الأوسط وما مدى مساهمة وتأثير الموارد المائية على الاستقرار البشري وعلى الأنشطة الفلاحية والحضرية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط ؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية من شأنها أن تساهم في توضيح مختلف أبعاد الموضوع:

1. كيف يوصف التوزيع الجغرافي العام للموارد المائية (السطحية والباطنية) في المغرب الأوسط؟
2. ماهي العوامل الطبيعية والمناخية المتحكمة في توزيع الموارد المائية في المغرب الاوسط؟ وكيف تفاعل معها الانسان من خلال أنماط تسييره للمياه السطحية والباطنية؟
3. ماهي الوسائل والتقنيات المتعمدة لضمان استغلال أفضل للماء في مختلف الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية؟
4. ما أبرز العقبات الطبيعية والبشرية التي واجهت استغلال المياه في المغرب الأوسط؟

وللإجابة على هذه التساؤلات استعننا في دراستنا على مجموعة من المناهج البحثية المتمثلة في المنهج التاريخي من خلال تتبع المصادر التاريخية التي توثق تسيير الموارد المائية وأداة وصف في وصف الخصائص الجغرافية لمناطق المغرب الأوسط والمنهج التحليلي في فحص علاقات التأثير والتأثر بين موارد الماء والأنشطة البشرية المختلفة (الزراعة، الصناعة) ورصد النتائج المترتبة عليها.

ومن أجل معالجة هذا الموضوع ارتأينا تقسيم البحث وفق خطة منهجية تقوم على تقسيم البحث إلى مجموعة من الفصول المتمثلة في: مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين أساسيين وخاتمة.

مقدمة عامة: طرحنا فيها أهمية الموضوع، الإشكالية الرئيسية، التساؤلات الفرعية والمنهج المعتمد والمصادر والمراجع المعتمد عليها.

الفصل التمهيدي: وذلك تقديم نظرة مفاهيمية عامة حول المصطلحات الواردة في عنوان المذكرة ومن ذلك محاولة تحديد الاطار المكاني برسم حدود المغرب الأوسط بعد ذكر أقسام المغرب من أدنى وأوسط وأقصى ثم التطرق الى عرض لمفهوم الماء وإبرازه من الجانب الشرعي من خلال القران والسنة.

الفصل الأول: حاولنا أن نبرز فيه العلاقة بين الشق الطبيعي والشق البشري من خلال تناول توزيع الموارد المائية من المصادر السطحية (الأنهار والأودية) والمصادر الجوفية (العيون والأبار) والعوامل الطبيعية المتحكمة فيه، ثم التطرق الى ما يقابلها من الاليات التي اعتمدها الانسان في تسيير الماء.

الفصل الثاني: سيسلط الضوء على تقنيات تهيئة الموارد المائية مثل تجميع المياه ونقلها ثم كيفية الاستعمال ونتائجه في مختلف القطاعات (الزراعة، الصناعة، العمران، مياه الشرب)، ثم محاولة التطرق الى أهم المشاكل والعقبات التي واجهت استغلال الموارد المائية في المغرب الأوسط ويكون الختام بطبيعة الحال بخاتمة تحوي اهم النتائج المستخلصة من البحث.

ولإعداد هذا البحث والحصول على معلومات متنوعة اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع التاريخية والجغرافية المختلفة المتمثلة في:

أولا : الكتب التاريخية

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لصاحبه ابن خلدون وهو ابو زيد عبد الرحمان بن محمد بن محمد الحضرمي الاشبلي (372-807هـ/1332-1406م) أفادنا الكتاب في ذكر الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط.

- كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لصاحبه ابن عذارى المراكشي (712هـ-1312م) ويعتبر من أمهات المصادر التاريخية تناول بالذكر بعض المعلومات عن حدود بلد المغرب وأهم مصادر مياها.

ثانيا :كتب الرحالة والجغرافيين

- كتاب صورة الأرض لابن حوقل أبو القاسم محمد النصيبي(367هـ-977م) الذي يعتبر من أوائل من قدموا وصفًا جغرافيا دقيقا لمناطق المغرب الأوسط، وقد أفادنا في معرفة طبيعة الأقاليم وتوزيع الموارد المائية فيها كما تطرق إلى ذكر بعض المنشآت المائية فيها.
- كتاب البلدان لصاحبه اليعقوبي أبو العباس أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضخ (284هـ-798م) لم يفصل كثيرا في الموارد المائية لكنه أشار اليها ضمنيا في وصفه لأسباب ازدهار بعض المدن مثل قربها من الأنهار أو العيون
- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمجهول عاش في القرن السادس للهجرة يقدم معلومات تفصيلية عن المدن وإشارات واضحة إلى العيون والأنهار والمنشآت المائية وقد ساعدنا في فهم طبيعة الموارد المائية.

ثالثا: المراجع

- كتاب الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين 10-11م للمؤلف جودت عبد الكريم، تناول ذكر الموارد المائية في المغرب الأوسط من آبار وغيرها.

- كتاب تلمسان في العهد الزياني للمؤلف عبد العزيز فيلالي، استعنا به في ذكرنا استعمالات الماء في الزراعة ووسائل الري.

رابعا: الرسائل الجامعية

- رسالة الدكتوراه لمحمد بن عميرة بعنوان: "الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين" الرسالة بها كم هائل من المعلومات خاصة حول مناخ المغرب الأوسط.
- رسالة ماجيستير للباحثة وسيلة علوش بعنوان " الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط خريطتها، منشآتها، استغلالها من القرن 1هـ إلى نهاية القرن 6هـ" فقد استفدنا من الموضوع في خريطة توزيع الموارد المائية في المغرب الأوسط وفي كيفية استغلالها.

خامسا: المقالات العلمية

- مصادر المياة ووسائل الري وأماكن التخزين في المغرب الأوسط ما بين القرنين الثاني والسادس الهجريين الثامن والثاني عشر الميلاديين الأستاذ سليم حاج سعد وبن موسى محمد أفادنا الموضوع في استعمالات الماء في الزراعة والصناعة.
- تنظيم الري واستغلال المياه ببلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني لهنابي جيلالي استعنا به في ذكر مناخ المغرب الأوسط والتساقط.

وفي سياق انجاز هذه المذكرة واجهتنا بعض الصعوبات والعقبات خاصة ما تعلق منها بتحديد المواقع الجغرافية القديمة بدقة بسبب تغير بعض الأسماء واختلاف التسميات بين المصادر وتحديد الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط إضافة الى عدم وجود معطيات رقمية دقيقة خاصة بعناصر المناخ كالحرارة والتساقط ما جعلنا نلجأ الى بعض المعطيات الحديثة ومقارنتها بالنصوص الوسيطة التي تصف مناخ المنطقة بصفة عامة.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد ساهمنا ولو بالقليل في معالجة هذا الموضوع.

الفصل التمهيدي

الاطار المفاهيمي

تمهيد

يتناول هدا البحث مجاليا بلاد المغرب الأوسط خلال فترة العصر الوسيط ويحاول تحديد العلاقة بين متغيرين: الأول مستقل وهو توزيع الموارد المائية وما ترتبط به من عوامل جغرافية مختلفة متحكمة فيه ، والثاني التابع المتضمن استعمالات الماء وطرق تسييرها في هذا المجال حسب ما تمليه الخصائص الطبيعية والبشرية لذلك سنحاول في هذا الفصل التمهيدي تسليط الضوء على أهم المصطلحات المرتبطة بموضوع البحث : الماء، جغرافية الموارد المائية، بلاد المغرب الأوسط من خلال ذكر موقعه، حدوده وبعض خصائصه الطبيعية.

نظرا لأهمية الماء البالغة فانه يعتبر موضوعا للدراسة لكثير من العلوم كالهيدرولوجيا وعلم المحيطات وكذلك جغرافية الموارد المائية التي تعتبر أحد فروع الجغرافيا الطبيعية التي تتميز عن التخصصات السابقة الذكر كونها تجمع بين الجانب الطبيعي والبشري فهي تهتم بدراسة توزيع المياه على سطح الأرض، سواء كانت مياه سطحية مثل الأنهار والبحيرات، أو مياه جوفية داخل طبقات الأرض. كما تتناول هذه الجغرافيا العوامل المؤثرة على توفر المياه، مثل المناخ والتضاريس، وطرق استغلالها من طرف الانسان في تنمية الأنشطة البشرية مثل الزراعة والصناعة ثم التأثيرات المتبادلة بينها.

1.الماء في الطبيعة

حلق الله سبحانه وتعالى الإنسان والدواب وكل الكائنات الحية من الماء وجعل الأرض مكانا للعيش فيها، حيث أنزل الماء من السماء عذبا طهورا، يتوزع الماء بقدر في دورة طبيعية تحافظ على استقرار كميته عاما بعد عام مع اختلاف توزيعه من مكان لآخر. وهذه الكميات من المياه كانت موجودة بالفعل قبل ظهور أي شكل من أشكال الحياة على سطح الأرض. بل في الواقع ان بدايات الحياة ظهرت داخل الماء. والماء هو المادة الوحيدة في الطبيعة التي توجد على ثلاث حالات، سائلة وبخارية وجامدة ، مشكلة مايسمى دورة الماء في الطبيعة وهي التي تضمن استدامته[1].

[1] - حسي حمدان الدسوقي حمامة، أسرار الماء في القرآن الكريم، مقال منشور بموقع الألوكة الثقافية www.alukah.net تاريخ الدخول 2024/12/26 الساعة السابعة مساءا الى تاريخ الخروج 2024/12/26 الساعة السابعة والنصف مساء

تتوزع هذه المياه عبر الكرة الأرضية حيث تغطي البحار والمحيطات مساحة تُقدر بـ 361 مليون كم^2، وتحتوي على كمية مياه تصل إلى 1370 مليون كم^3 ، مما يجعلها المصدر الأكبر للمياه، إذ تحتوي البحار والمحيطات على 97.2% من إجمالي المياه[1]، أما الموارد المائية الموجودة على اليابسة، فتتوزع كما يلي المياه الجارية في الأنهار والأودية: تبلغ كميتها حوالي 1.2 ألف كم^{3}والمياه الموجودة في البحيرات والمستنقعات و تُقدر بحوالي 230 ألف كم^3،المياه المختزنة في التربة بصورة طبيعية تصل إلى 82 ألف كم^3.

الشكل 01 توزيع المياه الطبيعة فى الأرض

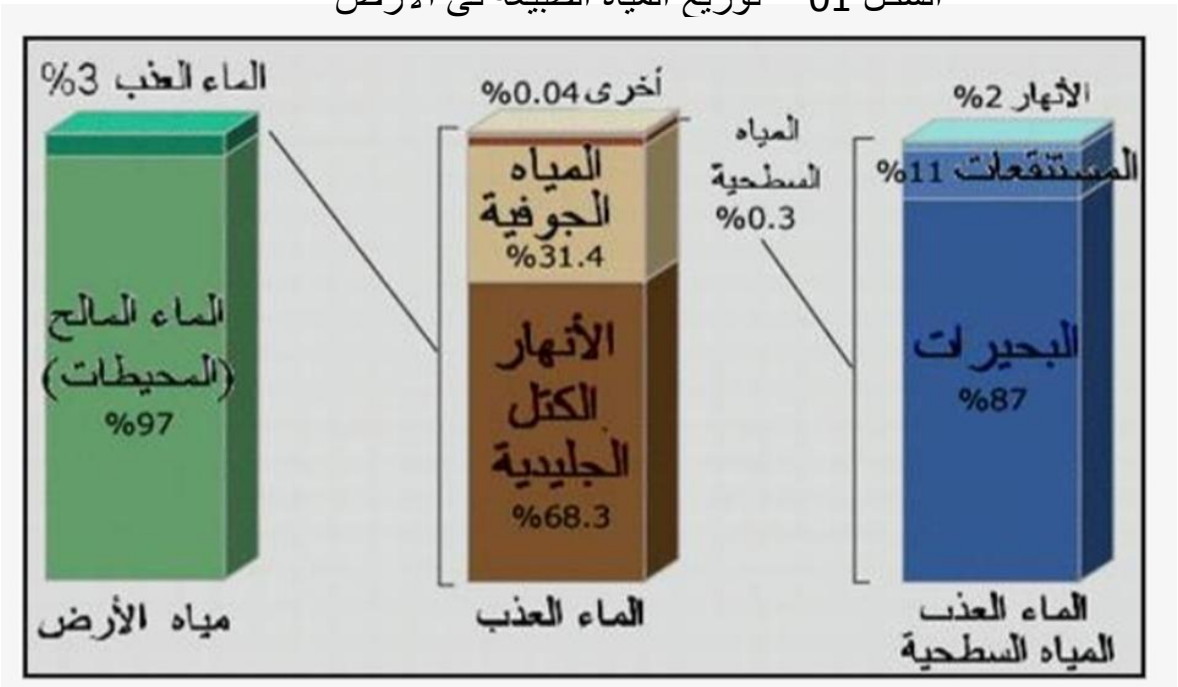

عبد الدائم الكحيل، 2009

2.أهمية الماء في الشرع الاسلامي

1.2.المفهوم اللغوي والاصطلاحي للماء

أ. لغة عرفة الفيروز آبادي في القاموس المحيط قائلا: الماء والماه وهمزة الماء منقلبة عن الها[2]. وتصغيره في حين أن جمع الماء، أمواه ومياه [3]. وجاء في المعجم الوجيز في نص ماهت البئر[4] موها ظهرها ماؤها وموه الشيء طلا

[1] حسن أبو سمور، حامد الخطيب، جغرافية الموارد المائية ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص10.

[2] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، وط - القاهرة، 20041 هـ 2008 مـ، ص 1565

[3] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، د ط، د س ص 4302

بفضة أو ذهب إذا لم يكن جوهره منهما، الحق دلسه الباطل ويقال موه الحديث زخرفة ومزجه بالحق والماء سائل عليه عماد الحياة يتركب من اتحاد الهيدروجين والاكسجين نسبة حجمين من الأول إلى حيم الثاني وهو في نقائه شفاف لا لون له ولاطعم ولا رائحة[1] ، ومنه ماء رائعة ومنه ماء العذب المعدني، الملح ماء المقطر[2] العسر[3] ، ماء الزهر[4].

ب. اصطلاحا لقد كان لأبي بكر بن وحشية سبق في تقديم معرفة واسعة حول مفاهيم الماء وذلك من خلال كتابة الفلاحة النبطية، حيث خصص بابا كاملا للحديث عن الفلاحة واستنباط المياه وهندستها وقد أشار في كتابه إلى أن الماء يتمتع بعدة صفات مثل الانبساط واللطافة والبرودة والرطوبة.

وقد عرفه ابن وحشية5 قائلا: " فأما جوهر الماء وطبيعته فهو جسم سيال متبسط عرضا جار بلطافته، وهو في جملته كري الجملة بمنزلة كرة محيطة بكرة الأرض اما على سطوحها في أوساطها وإما حواليها لأن الأرض لما كانت في جملة شكلها كميت الكرة، وكان الماء محيطا بما، صار الماء أيضا كميت الكرة ضرورة لتشكله ما هو محيط به، فأما مزاجه، فإنه بارد رطب عرضا، وأما في الجوهر: فسال برطوبته وبرد بيرود نه، فهو بحفظ على الحيوان وإذا شرب رطوباته الأصلية ويجيبه، ويحفظ النيات من التماقت والبيس والجفاف6".ويعرض لنا ابن

---

[4] مجموعة من المؤلفين، المعجم الوجيز، رئاسة إبراهيم مذكور مطالع شركة الاعلانات الشرقية، دار التحرير للطبع والنشر ح ط، القاهرة مجمع اللغة العربية، 1989 مـ، ص 595

[1] محمد بن عبد العزير بن عبد الله، الماء في الفكر الإسلامي والادب العربي، ج 61 دار مملكة المغربية وزارة اه اوقاف والشؤون الإسلامية د ط ،1447 1998، ص 71.

[2] الماء المقطر - الماء التابع عن تكثيف بخار الماء وهو خال من الاملاح ينظر المصدر السابق، ص 595 مجموعة مؤلفين

[3] الماء العسر: هو الذي لا يحدث رغوة مع الصابون بسهولة عند الغسل الثياب لاحتوائه على أملاح الكالسيوم والمغنسيوم ذاتية فيه. بنظر مجموعة من المؤلفين، المصدر السابق، ص 595

[4] الماء الزهر: محلول ماتي يحضر بالتقطير البخاري للزهور الناضرة وهذا المحلول رائحة الزهرة المقطرة، ينظر.
محمد على عكاز أولى. اره احكام ترشيد المياه في الفقه، العدد ،53 ص 14.

[5] ابن وحشية: هو أبو بكر أحمد بن علي بن المختار الكلداني أو النبطي، وينعت بالصوفي كلداتي الأصل عرف بتصانيفه الكثيرة في الكيمياء والعلوم الخفية الأخرى، بنظر خير الدين الزركلي، الاعلام قاموس تراجم الأشهر الرجال والنساء من العرب المستعربين والمستشرقين ج01، دار العلم للملايين ا ط 13 بيروت، 2002، ص 170.

[6] ابن وحشية أبو بكر أحمد بن على ابن قيس الكداني، الفلاحة النبطية، دار المعهد العلمي الفرنسي للدراسات الغربية، تحقيق توفيق فهد، ط1، دمشق، 1993، ص ص 56-57.

عابد بن تعريفا للماء حيث قال: " جسم لطيف، سيال، به حياة، يرفع الحدث المطلق بماء مطلق هو ما يتبادر عند الانطلاق كماء سماء"[1] ويوضح من هذا التعريف أنه يشمل جميع أنواعه ويعتبر الماء سائلا يحي الكائنات الحية ويزيل الحدث يشكل مطلق.

2.2.الماء في القران الكريم

يعد الماء في الشريعة الإسلامية نعمة عظيمة وهبها الله تعالى للإنسان، وهو من أهم المصادر التي تساهم في استمرار الحياة على الأرض. وقد ذكر الماء في القرآن الكريم والسنة النبوية في العديد من المواضع، حيث أكد الإسلام على أهميته كأداة للبقاء والنماء، وأوصى بالحفاظ عليه واستخدامه بحذر واعتدال، قال الله تعالى: « وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شيءٍ حَيٍّ[2]»، مما يدل على أهمية الماء في خلق الحياة وتنميتها.

هناك العديد من الآيات القرآنية تلح على وظيفة الارض كوعاء للحياة ومكان للإخصاب العالمي الذي يحصل بفضل الماء الذي يرسله الله تعالى { وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآء فَأَحْيا بِهِ ٱلَارْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا }[3]. ويصور القرآن الكريم كيف أنبت كل شيء من الأرض بواسطة الماء فهذا الأخير هو سبب إنبات كل شيئ لقوله تعالى: { وَهُوَ ٱلذِے أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآء فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شيء فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبّا مُّتَرَاكِبا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَان دَانِيَة وَجَنَّٰت مِّنَ اَعْنَٰب وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِها وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓۚ إِنَّ في ذَٰلِكُمْ لَأٓيَٰت لِّقَوْم يُومِنُونَۖ [4]{

[1] محمد أمين ابن عايدين، رد المحتار على الدر المختار شرح وتنويرالأبصار، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ج 1، الرياض 1423-2003 م

[2] سورة الأنبياء الأية 30

[3] سورة البقرة الاية 163

[4] سورة الأنعام الآية 100

ولما كان للماء أهمية بالغة فقد نبه الله سبحانه وتعالى إلى معرفة هذه النعمة وتأدية شكرها في قوله تعالى: { أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ (71) ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ (72) لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ }[1]

كما إن الماء من جهة أخرى يمثل مصدر استرزاق الناس وقوتهم وهو ما قيده الشرع في قوله تعالى: { ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشا وَالسَّمَآءَ بِنَآء وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآء فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلهِ أَندَادا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ }[2] ومن خلال الآيات القرآنية السابقة، تتضح أهمية الماء كعنصر حيوي يمثل أهم المصادر الثروة وأثمنها في الطبيعة، ولهذا عظمه ومجده القرآن الكريم في مواضع متعددة، إذا بفضل الماء بدأت الحياة واستمر الإنسان في مسيرته على وجه الأرض، كما انبثق بفضله كذلك النبات والحيوان، فجل هذه الكائنات كانت تعتمد على مصدر أساسي لبعث حياتها ألا وهو الماء[3].

3.2.الماء في السنة النبوية:

حثت السنة النبوية على استخدام الماء بشكل يومي ومستمر، حيث يعتبر وسيلة أساسية للطهارة والنقاء من الذنوب والخطايا عن طريق الوضوء، الذي يساهم بشكل مباشر بخروج الذنوب من الاعضاء حيث يقول أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {إذا توضأً العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع أخر قطر الماء، فإذا غسل بيديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع أخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع أخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب}[4].

---

[1] سورة الواقعة الأيات 71.73

[2] سورة البقرة الآية 21

[3] التجاني مياطه (دور المياه في معتقدات بلاد المغرب من خلال النصوص التاريخية والمخلفات الأثرية) جامعة الوادي - الجزائر، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية المجلد 8 العدد 3 جوان 2023، ص 323

[4] الامام المسلم، الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج1، دار إحياء التراث العربي، رقم الحديث 29 - 32، ص 215.

كما دعت السنة النبوية إلى حماية الماء والحفاظ عليه وأكدت على أهمية عدم تلويثه أو الإسراف في استخدامه، فقد روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ "فقال: ماهذا السرف يا سعد؟! فقال: وهل في الماء من سرف؟ قال: نعم، وإن كنت على نهر جار"[1].

كما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدم منع الماء حتى لايؤثر سلبا على حياة الانسان والحيوان والنبات وهذا عائد لطبيعة هذا العنصر الأساسي الذي لا يمكن الاستغناء عنه في مسار الحياة. قال صلى الله عليه وسلم: "المسلمون شركاء في ثلاث: في الماء والكلأ والنار"[2] وكذلك دعا الإسلام إلى الطهارة، قال تعالى: { فِيهِۚ فِيهِ رِجَال يُحِبُّونَ أَنْ يَّتَطَهَّرُواۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَۚ }[3]، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}[4].

ولأن الطهارة هي أساس العبادة فقد نزل فيها القرآن وركز عليها الرسول صلى الله عليه وسلم[5]، كقوله: "الطهور شطر الإيمان " وقبل أن يشرع المسلم بالصلاة لابد من الطهارة أولا، قال تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِۚ }[6]، حيث إن اهتمام الإسلام بالماء نابع من كونه يحقق العديد من الوظائف الدينية الأساسية التي يرتكز عليها من أهمها الطهارة.

3. التعريف بمنطقة الدراسة : الخصائص الجغرافية

1.3.التقسيم الترابي لبلاد المغرب

من المعروف أن بلاد المغرب تشكل وحده جغرافية متداخلة الأطراف إلا أنه خلال فترات تاريخية مختلفة ظهرت ضرورات اقتضت تقسيم هذه المنطقة وفقًا للظروف والمناسبات المختلفة، على كثرة النزاعات التي كانت من أبرز الأسباب

---

[1] رواه ابن ماجة، كتاب الطهارة، باب من جاء في القصد من الوضوء، حديث رقم 425، ص 90،

[2] الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط1، ط2، ص904

[3] سورة التوبة الآية 108.

[4] سورة البقرة الآية 220

[5] غالب محمد رجا الزعارير، الماء في القرآن الكريم، دار المكتبة الزمان، ط1، 1424ه-2003م، ص29.

[6] سورة المائدة الآية 7.

التي أدت إلى تغيير المجال الجغرافي للمنطقة على مر العصور لذا تم تقسيم بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام وفقا لدرجة قربها أو بعدها عن مركز الخلافة في المشرق1.

أ. **المغرب الأدنى** ويسمى إفريقية او سمي كذلك لأنه أقرب إلى بلاد المغرب ودار الخلافة بالحجاز والشام، ويمتد من الحدود الغربية لطرابلس شرقا حتى بجاية أو تاهرت غرباً[2]، وكان يشمل جمهورية تونس الحالية وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر وكانت عاصمته مدينة القيروان أيام حكم الأغالبة ثم المهدية أيام الفاطميين ثم مدينة تونس منذ عهد الحفصين إلى اليوم.[3]

ب. **المغرب الأوسط**: ويشمل بلاد الجزائر الحالية، ويمتد من الحدود الغربية لبجاية شرقا حتى وادي ملوية و جبال قارة غربا وقاعدته تلمسان و جزائر بني مزغنة[4] ،وكانت عاصمته مدينة تاهرت في عهد الدولة الرستمية ويسمى بالمغرب الاوسط لتوسطه بين المغرب الأدنى والاقصى[5].

ج. **المغرب الأقصى**: يقع في الركن الشمالي لغربي القارة الإفريقية[6] يحده شرقا وادى ملوية وجبال تازة وغربا المحيط الأطلسي وشمالا البحر الروم [7]وجنوبا جبال درنً[8] ، ويسمى بالمغرب الأقصى لأنه أبعد أقطار المغرب الثلاث عن دار الخلافة، وعاصمة المغرب الأقصى تردد بين مدينة فاس سنة 191م، واتخذوها عاصمة لهم ثم جاء المرابطون وبنوا مدينة مراكش سنة 463، واتخذوها عاصمة والمغرب الأقصى يشمل المملكة المغربية اليوم التي عاصمتها الرباط[9].

---

[1] الظاهر بخدة، التحركات والمجرات القبلية والسكانية في المغرب الأوسط خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (ق10-11) دار القدس العربي، وط، ماي 2018، ص 31

[2] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، مؤسسة الشباب الجامعة للنشر والتوزيع، دط، دس، ص 41

[3] أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والاندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د ط، بيروت، دس، ص10

[4] السيد عبد العزيز سالم، المصدر السابق، ص 41

[5] أحمد مختار العبادي، المصدر السابق ص10

[6] حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والاندلس " المرابطين والموحدين"، مكتبة الخانجي، ط 1980،01، ص 03

[7] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية، دط، 1408م-1988م، ص18

[8] جبال درن: هو جبل شاهق مشهور لا يزال عليه الثلج لأوله عند البحر المحيط الغربي في أقصى المغرب واخره أشرف على ثلاث مراحل إسكندرية من الديار المصرية. بنظر: ابن العباس أحمد القلقشندي، صبر الأعشى، ج 65، دار الكتب الخديوية، 1333ه-1915م، ص173

[9] عصام الدين عبد الرؤوف الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة الشرق، دط، القاهرة، دس، ص12

4.المجال الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط

1.4. الحدود السياسية لبلاد المغرب الأوسط حسب المصادر التاريخية

يعد المغرب الأوسط جزءاً مهما من بلاد المغرب الاسلامي وقد عرفت حدوده تغييرات متواصلة عبر العصور، متأثراً بالتحولات السياسية والعسكرية التي شهدتها المنطقة فقدكان يتموقع بين المغرب الأدنى شرقا والمغرب الأقصى غربا، ولقد تباينت حدود المغرب الأوسط بين الاتساع والانكماش ولم تكن هذه الحدود ثابتة أو مرسومة بدقة بل كانت مرنة تتغير حسب قوة الدولة.

وقد تحدث أبي عبيد البكري (ت 487م/ 1094م) في كتابه "المغرب في ذكر إفريقية والمغرب"[1]،عن إفريقية وبلاد السودان "حيث حدد حدود إفريقية الشمالية من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا[2]"....، وعرضها يمتد من البحر إلى الرمال التي تعد أولى بلاد السودان جنوبا[3].

أما الإدريسي (ت 560م/1164م): يحدد المغرب الأوسط[4] بقوله: "ومدينة بجاية في وقتنا، مدينة المغرب الأوسط، وعين بلاد بني حماد[5]،...ومدينة تلمسان قفل بلاد المغرب الاوسط"ولم يختلف معه الجغرافي ابن سعيد المغربي (685هـ/1287م) لاعتبار، مدينة بجاية قاعدة المغرب الاوسط ويتعمق الزهري (أواخر القرن 6هـ/12م) أكثر في الموضوع موضحا" أن بلاد المغرب من الجهة الشرقية تحدها جبال يرقة وبيال أوثان". وهذه الجبال على أخر عمل مصر وأول عمل القيروان وأخره أقصى السوس، وهذا الجزء ينقسم على ثلاثة أصقاع وهي إفريقية الممتدة من جبال برقة إلى

---

[1] البكري ابو عبيد الله (القرطبي ت 487م). وكتابه الذي يهمنا هو الجزء من المسالك والممالك المعروف باسم المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب والذي نشر بمعرفة البارون دسلان بالجزائر س 1957 تحت عنوان وصف افريقيا الشمالية بالفرنسية. بنظر د سعد زغلول عبد الحميد،
تاريخ المغرب العربي، ج 4، دار المعارف، ط01، بالاسكندرية، 1995، ص27.

[2] أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي، دط، القاهرة، دس، ص21

[3] محمد بن عمير: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2017، ص17

[4] عبد العزيز فيلاني، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دط، عين مليلة الجزائر، 2014، ص12

[5] محمد الشريف الإدريسي نزهة المشتاق في اختراق الافاق، ج01، مكتبة الثقافة الدينية، ط، بور سعيد القاهر، 1466م،2002م، ص260

جبال نفوسة وجبال وانشريش[1] ويسكن في هذه المنطقة قبائل من البربر مثل صنهاجة وبرغواطة وزناتة، وفيه من المدائن تونس وجزائر بني مزغنة ومدينة قفصة وبجاية[2].

ومن كتاب القرن (6هـ/12م) صاحب "كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار "إذ يقول في ذكر المغرب الأوسط وفي مدن كثيرة وقاعدتها مدينة تلمسان وحد المغرب الأوسط بين وادي مجمع وهو في نصف الطريق بين مدينة مليانة ومدينة تلمسان وبلاد تازا من بلاد المغرب في الطول، وفي العرض من البحر الذي على ساحل البلاد إلى مدينة تنزل، وهي مدينة في أول الصحراء على طريق سجلماسة[3].وياقوت الحموي عبارات (ت 626 هـ/1228م) حيث قسم بلاد المغرب إلى قسمين إفريقية[4] وبلاد المغرب فحدد إفريقية من طرابلس من جهة برقة والإسكندرية إلى بجاية وقيل إلى مليانة[5].

وكذلك نجد ابو الفداء (ت 732هـ) قسم بلاد المغرب إلى ثلاثة اقسام القسم الأول يعرف بالمغرب الأقصى وهو من الساحل البحر المحيط إلى تلمسان غربا وشرقا من سبتة إلى مراكش ثم إلى سجلماسة، والمقسم الثاني يعرف بالمغرب الاوسط وهو من شرقي وهران عن تلمسان مسيرة يوم في شرقيها إلى آخر حدود مملكة بجاية من الشرق، والقسم الثالث من برقة إلى حدود مصر[6].

---

[1] أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، دط، بورسعيد القاهرة، دس، ص106

[2] المصدر نفسه، ص107

[3] مؤلف مجهول الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصروبلاد المغرب، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية
د ط، الدار البيضاء، 1985، ص 176

[4] افريقية: بكسر الهمزة وهي إسم لبلاد واسعه ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية وينتمي آخرها إلى قبالة جزيرة الاندلس والجزيرتان في شمالها فصقلية منحرفة إلى الشرق والاندلس منحرفة عنها إلى جهة الغرب. بنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج 01، دار الصادر، دط، بيروت 1977، ص228

[5] المصدر نفسه، ص 228

[6] أبي القداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عُم، تقويم البلدان دار الصادر، دط، بيروت، دس، ص 122

ونجد مارمول كربخال يقول إن مملكة تلمسان تضم أربعة أقاليم: الأول إقليم تلمسان والثاني إقليم تنس والثالث إقليم الجزائر والرابع إقليم بجاية، وكذلك مملكة تونس تضم هي الأخرى أربعة أقاليم: الأول إقليم قسنطينة والثاني إقليم تونس والثالث إقليم طرابلس والرابع إقليم الزاب1.

و ابن عذارى المراكشي(ت بعد 712هـ/1312م) حد المغرب من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد وحد المغرب وحده مدينة سلا، وينقسم إلى أقسام:

قسم من الاسكندرية إلى طرابلس وهو أكبرها وأقلها عمارة وقسم من طرابلس وهي بلاد التراب ويقال أيضا لبلاد التراب الاعلى ويلي هذه البلاد بلاد التراب الأسفل، وحدها إلى مدينة تيهرت ويليها بلاد المغرب وهي بلاد طنجة وحدها مدينة سلا وهي آخر المغرب[2] .

ويذكر الحاج النميري المغرب الأقصى والمغرب الأوسط والمغرب الأدنى. من عظماء ملوك بني مرين، وهو ابن أمير المسلمين الأكبر أبي الحسن علي (697-175هـ) سلطان مراكش وسليمانت ودرغه وا واسمي وسلا ومكناس وطنجة وتلمسان وهران ومليانة والجزائر وجبل الفتح[3].

كما أن ابن خلدون يقول إن المغرب الأوسط سمى بالأوسط لتوسط المغربين الأدنى والأقصى، وحدده من بجاية غربا حتى وادي ملويه وجبال تازة في الغرب. وقاعدته مدينة تلمسان.فهو يجمع ديار زناتة كان، وبني يقرن، وكان معه مغيلة ومطغر،

[1] مارمول كربخال، إفريقيا، تر محمد حجي وآخرون، ج01، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، دط، 1404ه/1984م، ص 27

[2] – ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، عهد، ليفي بروفنسال ج1 دار الثقافة، ط603 بيروت - لبنان – 1983م ص

[3] ابن الحاج النميري السعيدة إلى قسطين والراب، تعر بيري، فيض العباب وإضافة قدام الأداب في العركة ب اتع ومحمد بن شقرون، دار الغرب الاسلامي، ط ه ا بيرون، ١٩٩٠، ص 16

ومطماطة. ثم بدأ من بعدهم لبني واما نوا وبني چلو ثم صار لبنى عبد الواد وتوجين وبني مادين وقاعدته لهذا العهد تلمسان، ويجاوره من الشرق بلاد صنهاجة من الجزائر ومتيجة والمربية وما يليها إلى بجاية[1].

2.4.الاطار الطبيعي لبلاد المغرب الأوسط

لقد منح الله سبحانه وتعالى إقليم المغرب الأوسط خصائص طبيعية خلابة[2] حيث تعد المنطقة وحدة إقليمية متجانسة من الناحية الطبيعية، إذ يتميز سطحها بوجود إقليمين طبيعيين هما الإقليم المحاذي للبحر الأبيض المتوسط والاقليم الجنوبي الواقع جنوب جبال الأطلس الصحراوي[3]. ويمكن ان نميز فيه الوحدات التضاريسية الكبرى التالية :

أ. **السهول** وتنقسم الى

- ✓ **السهول الساحلية:** فهي تقع على طول شواطئ البحر المتوسط[4] منها سهل زيق وهران وسهل وادي شلف[5]، سهل متيجة جنوبي مدينة الجزائر.[6]
- ✓ **السهول الداخلية:** غالبا ما نجدها تنحصر بين السلاسل الجبلية كما يتراوح ارتفاعها بين 400 و500م، وهي ممتدة من وادي ملوية شرقا إلى سهول معسكر. اضافة إلى سهول تلمسان المرتفعة عن سطح البحر بحوالي 800 وسهول سيدي بلعباس[7].

ب. السلاسل الجبلية: تعد السلسلة الجبلية التي تشكل حواجز طبيعية لفصل منطقة السهول والصحراء[8]، حيث تمتد من الشرق إلى الغرب. يتميز هذا النوع من الجبال بارتفاعه المتزايد كلما اتجهنا نحو الشرق. بالإضافة إلى كثرة التواءاته[9]. وتنقسم الى سلسلتين[10]:

---

[1] ابن أبي عبد الرحمن ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، امراة سميل زكار، ج 606 دار الفكر، د ط، بيروت - لبنان، 1421ه / 2000م ص 134

[2] محمد على دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج1، مؤسسة تاوالت الثقافية، دط، دب، 2010.ص 17.

[3] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة الأعمال الفكرية، دط، دس، ص 27.

[4] عبد الواحد ذنون طه وآخرون، تاريخ المغرب العربي، دار المدار الاسلامي، ط1، 2004، ص14.

[5] وديع ابو زيدون، التاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، تح: هاني الجمل، دار الأهلية للنشر والتوزيع، ط 4، 2011، ص 50.

[6] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الاسرة الأعمال الفكرية، دط، دس، ص 27.

[7] جيلالي هنائي، نظام الري بالدولة الزيانية من القرن (7-10ه/13-16م) شهادة دكتورا في تاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان،1441-1442ه/2020-2021م ص16.

- ✓ الاطلس التلي: وتمتد جبال هذا الإقليم من مرتفعات تلمسان على حدود المغرب، حتى جبال سوق أهراس عند حدود تونس شرقاً، والأطلس التلي أكثر ارتفاعاً واتساعاً في الشرق منه في الغرب، وأعلى ارتفاع له في جبال الجرجرة، عند قمة لالة خديجة 2308م.
- ✓ والاطلس الصحراوي تمثل بموقعها وارتفاعها، حداً طبيعياً انتقالياً بين الشمال والجنوب أهم تشكيلاتها: جبال القصور، وبها قمة سيدي عيسى 2238م، وجبال عمور، وأولاد نايل، والحضنة، وجبال الأوراس، حيث قمة الشلية 2380م، وجبال النمامشة.

ج. إقليم النجود أو الشطوط: يسمى هذا الإقليم أيضا باقليم الهضاب المرتفعة[1]، وهو يقع بين جبال الاطلس الشمالي والاطلس الجنوبي يتسم بوجود البحيرات المالحة والشطوط، ومن أبرز هذه الشطوط شط الغربي وشط الشرقى وشط الحضنة[2].

د. اقليم الأطلس الصحراوي هي عبارة عن سلاسل جبلية تنحدر بإتجاه الصحراء، تمتد من الغرب إلى الشرق تقع بموازاة الأطلس التلي[3] تشكل هذه السلسلة حاجزا يمنع شرب الرمال والرياح نحو إقليم النجود والأطلس التلي ومن أبرز جبالها جبال النمامشة وجبال الاوراس[4].

هـ. إقليم الصحراء وهو منطقة شاسعة جدا تقع بين جبال الأطلس الجنوبية في الشمال وخط العرض 19 شمال خط الاستواء في الجنوب يغلب عليها التضاريس المنخفضة والمسطحة مع البساطة في سطحه ويشمل هذا الاقليم على العديد من الواحات ومن أبرزها: بسكرة، تقرت، ورقلة[5].

---

[8] عبد الحميد حسن حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية، الدار الثقافية للنشر، ط1، 1428ه-2007م، ص14.

[9] أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، دط، دس، ص12-13.

[10] محمد الهادي لعروق، أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، الجزائر، بدون تاريخ النشر، ص 13.

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 31

[2] عاطف عيد، قصه وتاريخ الحضارات العربية (تاريخية الجغرافية حضارية وأدبية) تونس، الجزائر، 21-22، 1998-1999، ص104

[3] فراس سليم السامرائي، تاريخ المغرب العربي، دار الصادف الثقافية، ص21.

[4] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 37.

[5] يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر،ج 1، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2009، ص19.

خلاصة الفصل

يظهر التحديد الجغرافي الذي اعتمده الرحالة والجغرافيون والمؤرخون لبلاد المغرب الأوسط انتماء هذا الإقليم إلى المجال الجغرافي العام لبلاد المغرب ووقوعه ضمن حدودها المعروفة وقد قام العرب بتقسيم بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام رئيسية وهي أدنى –أوسط – أقصى ونظرا لارتباط موضوع دراستنا بالمغرب الاوسط خلال فترة العصر الوسيط كان من الضروري حصر الحدود الجغرافية له لما لذلك من أهمية في فهم السياق التاريخي والجغرافي للإقليم، لكنه ظهر جليا من خلال تفحص المصادر التاريخية والتمعن فيها انها لم تتفق على حدود ثابتة له حيث تعددت وجهات النظر واختلفت في وضع اطار ثابت له لكن اجمالا يمكننا ان نحصره كما يلي : إذ يحده من الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الشرق المغرب الأدنى (أي تونس) ومن الغرب المغرب الأقصى (أي المغرب) ومن الجنوب الصحراء الكبرى،.

يتميز المغرب الأوسط بتنوع طبيعي وجغرافي بارز إذ ساهم التباين التضاريسي الذي يشمل الساحل والسهول والهضاب والجبال والصحاري، في تشكيل وحدة طبيعية ذات خصائص بيئية متميزة.

الفصل الاول

الموارد المائية في بلاد المغرب الأوسط
بين حتمية التوزيع الطبيعي وقواعد التسيير البشري

I. مناخ بلاد المغرب الأوسط

I.توزيع الموارد المائية في بلاد المغرب الأوسط

II. تسيير موارد الماء في بلاد المغرب الاوسط

خلاصة الفصل

تمهيد

ترتبط وفرة الموارد المائية بصفة عامة بعناصر المناخ المختلفة من حرارة وتساقط ورياح وضغط جوي والتي تعتبر عناصر حاسمة في توزيعها من منطقة لأخرى. كما تلعب التضاريس مثل الارتفاع والانخفاض عن مستوى سطح البحر والتركيب الجيولوجي دورا كبيرا في اختلاف توزيع عناصر المناخ وفي جريان المياه وتخزينها في باطن الأرض. وبلاد المغرب الأوسط التي تتميز بتنوع تضاريسي معتبر من منطقة الى أخرى فان ذلك سيؤثر مباشرة على مناخها وعلى التوزيع الجغرافي للموارد المائية بها .

I. مناخ بلاد المغرب الأوسط

للمناخ أهمية كبيرة في تشكيل مسيرة الحضارات، وتشير استنتاجات بعض الباحثين، وعلى رأسهم "غوستنسكي" (Gostynski)، إلى "أن مناخ إفريقيا الشمالية لم يتغير كثيراً، منذ الألفية الأولى قبل الميلاد"[1]. أما كزافييه دو بلانول (Xavier de Planhol) فيستنتج من خلال أبحاث اجراها على بلاد المغرب: "أن المناخ في المغرب لم يتغير بالفعل، منذ العصر القد يم[2] . وبناء على هذه الاستنتاجات وبسبب غياب الأرقام الخاصة بعناصر المناخ للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط اعتمدنا على ارقام حديثة ثم مقارنتها بما توفر من معلومات عن المناخ خاصة تلك التي يمكن استنتاجها من وصف الجغرافيين للحرارة والتساقط وجريان الاودية من المصادر التاريخية.

تتحكم في مناخ أي إقليم مجموعة من العوامل أهمها موقعه بالنسبة لدوائر العرض يقصد بذلك القرب او البعد عن خط الاستواء حيث أن اشعة الشمس تكون عمودية في المنطقة المحصورة ما بين المدارين (مدار الجدي ومدار السرطان) مما

---

[1] بن عميرة، محمد؛ السعيد بوزيدي. الخصوصيات المناخية للمغرب القديم، ضمن أضواء جديدة على تاريخ شمال إفريقيا .الرباط: مكتبة دار السلام، ط. 1. 2007م ، ص ص 188-191. نقلا عن نوال بلحمداني. .نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4-5هـ/10-11م) .(أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي). جامعة وهران، 2014، ص 33.

[2] Xavier de Planhol, les fondement géographiques de l'Histoire de l'Islam, Paris, 1960, p136/ Gsell, le climat de l'Afrique de nord dans l'antiquité, revue Africaine, volume 55, 1911, pp344-410.

نقلا عن عن نوال بلحمداني، مرجع سابق، ص34.

يساعد على ارتفاع درجة الحرارة فيها، بينما تسقط اشعة الشمس بشكل مائل كلما بعدنا عن مدار السرطان شمالا ومدار الجدي جنوبا مما يؤدي الى تناقص درجات الحرارة.

بالنسبة للمغرب الأوسط فإنه يقع شمال مدار السرطان بين دائرتي عرض 29° و 37° شمالا وبذلك فهو يقع ضمن المنطقة المعتدلة الدافئة الشمالية[1] التي تتميز بالاعتدال في درجات الحرارة مقارنة مع المناطق الاستوائية الحارة أو المناطق القطبية وشبه القطبية الباردة.

خريطة 01: موقع المغرب الأوسط ضمن المنطقة الحرارية المعتدلة الشمالية

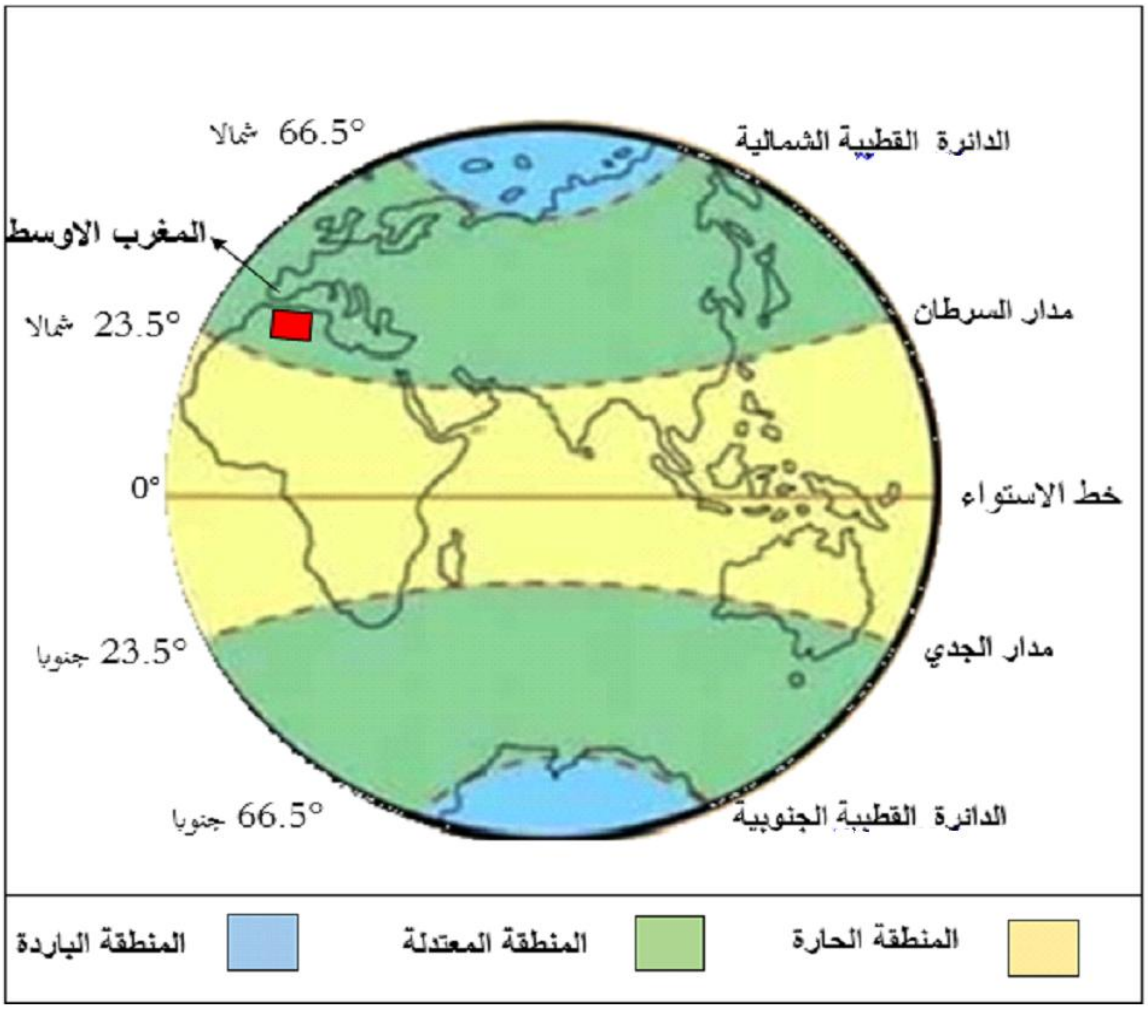

[1] محمد بن عميرة الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة الموحدين ، شهادة دكتور ا في تاريخ المغرب الاسلامي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2004 - 2005 ص91.

1.الحرارة في بلاد المغرب الاوسط

تسجل درجات الحرارة القصوى في المغرب الأوسط خلال النصف الأول والثاني من شهر أوت، بينما تُسجل أدنى درجات الحرارة في النصف الثاني من شهر جانفي[1]، يشهد فصل الخريف درجات حرارة أعلى من فصل الربيع، وتبين القياسات الحديثة لسنة 1949م انه في الجزائر العاصمة مثلا يبلغ متوسط درجة الحرارة في شهر جوان 21° ويصل إلى 22° في شهر سبتمبر[2]. بينما تميل درجات الحرارة في المناطق الداخلية إلى الارتفاع أثناء النهار أقرب إلى حرارة الصحراء، حيث تتجاوز في المتوسط 29° نتيجة الجفاف الشديد وصفاء السماء وتسجل درجات الحرارة انخفاضا طفيفا في الليل. مما يؤدي إلى مدى حراري يومي واسع[3].

أما في فصل الشتاء، فإن متوسطات درجة الحرارة تشهد انخفاضا ملحوظا إلا أن في متوسط عن 8° درجات في المناطق الداخلية وهي تميل إلى الدفء أثناء النهار، بينما تنخفض الحرارة ليلا. حيث يمكن أن يصل الفارق اليومي في درجات الحرارة إلى حوالي 7 أو 8 درجات[4].

وتبلغ الحرارة أعلى مستوياتها في الجنوب الجزائري. حيث تتراوح الفوارق اليومية في درجات الحرارة بين 11°و18° خلال فصل الصيف وفي مدينة عين صالح تصل إلى 19° بينما تصل في مدينة تقرت إلى 24° كما يزداد معدلها في المناطق الصحراوية بشكل ملحوظ لدرجة أنه يصل إلى 20 أو 30 مرة مقارنة بمعدلات التساقط[5].

---

[1] صبري فارس الهيثي، حسن أبو سمور، جغرافية الوطن العربي، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط01، عمان، 1899م - 1420هـ، ص 51.

[2] Jeon des pais, L'Afrique Blanche l l'Afrique du nors, Presse universitaires de france, Paris, 1949, p07.

[3] نعيم الظاهر، جغرافية الوطن العربي، دار اليازوري للنشر والتوزيع، ط01، عمان الأردن، 1418ه-1999م، ص 105.

[4] عبد علي الخفاف، جغرافية العالم الاسلامي أسس عامة في المحيطين الطبيعي والبشري، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط01، 1998، ص 71.

[5] موسى هواري، (بلدان المغرب العربي دراسة جغرافية)، مجلة رؤى تاريخية والدراسات المتوسطية، المجلد 01، العدد 03، جوان 2021، ص 09.

بينما تنخفض الرطوبة النسبية إلى حوالي 2% مع ارتفاع درجات الحرارة إلى 40° ومع ذلك تجد هذه الخصائص تتعدل على المناطق الغربية للصحراء التي تمر بالقرب منها تيار كناري حيث تعوض الرطوبة النسبية العالية وكثرة الضباب عن انخفاض معدلات هطول الأمطار مما يجعلها أقرب إلى الاستبس من الصحراء[1].

2.التساقطات المطرية

للأمطار أهمية خاصة في بلاد المغرب الأوسط لأنها المصدر الرئيسي لتزويد كل اشكال الحاجيات المائية، كما أن لها دور رئيسي في الاقتصاد الفلاحي لأن الزراعة مرتبطة بسقوط المطر[2] . تهب الرياح الغربية العكسية في المغرب الأوسط محملة بأمطارها، ويبدأ نزول المطر في فصل الخريف ومطلع الشتاء ثم الربيع. تشتد الأمطار في نوفمبر وديسمبر، بينما يكون الصيف جافاً[3]. وتعتبر خريطة التوزيع السنوي لهطول الأمطار من أهم الأمور التي يجب الرجوع إليها لفهم طبيعة شمال إفريقيا وعلى الرغم من أن توزيع هطول الامطار متفاوت للغاية فإن شمال إفريقيا لا يتلقى في أي مكان تقريبا أقل من 200 ملم سنويا ماعدا الصحراء، وعلى ثلث سطحه فإن هطول الأمطار الذي يزيد على 400 ملم يكفي لمعظم محاصيل البحر الأبيض المتوسط، حيث تتمتع السهول والتلال الواقعة بالقرب من البحر بفضل البرودة النسبية في فصل الشتاء، بكمية كافية من الأمطار تتراوح من 400 إلى 650 أو 700 ملم بشرط ألا تقع بعيدا عن النطاقات الساحلية أو ألا يكون خط عرضها منخفضا جدا، وتنخفض نسبة التساقط كلما توغلنا نحو الداخل بكمية تتراوح ما بين 150 إلى 350 ملم[4].

---

[1] موسى هواري، المرجع السابق، ص09.

[2] محمد الهادي لعروق، المصدر السالبق، ص 15.

[3] نوال بلحمداني. (2013-2014م/1434-1435هـ)، نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4-5هـ/10-11م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، 2014، جامعة وهران، ص36.

[4] أسماء خلوط فتيحة قاضي، توزيع الموارد المائية في المغرب الأوسط من خلال المصادر الجغرافية. الملتقى الوطني الأول : تاريخ الماء في الجزائر، جامعة تيارت، 30 افريل 2024.

وتتناقص الامطار كلما اتجهنا من الشمال نحو الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، كما تختلف التساقطات أيضا من سنة لأخرى. وهذا ما أثر وبشكل كبير على الشبكة المائية سواء السطحية أو الجوفية أما المناطق الجنوبية فضلت تشهد أمطار شحيحة طول السنة. وتكاد تنعدم في أوقات كثيرة إلا أنها لم تكن من بعض المياه خاصة بالواحات[1].

وفي الأخير يمكننا القول إن أهم ما يميز التساقط في بلاد المغرب الأوسط هو عدم الانتظام خلال السنوات كما تقل من الشمال إلى الجنوب لأن الرياح الغربية والشمالية الغربية تصطدم بالاطلس التلي الذي يشكل حاجزا للمطر[2].

3.الأقاليم المناخية في بلاد المغرب الأوسط

يقسم المناخ في المغرب الأوسط إلى ثلاثة أقاليم مناخية متمايزة تمتد في شكل نطاقات متجهة من الشرق إلى الغرب.

1.3. مناخ البحر الأبيض المتوسط

يسود هذا المناخ المنطقة الشمالية يمتد من البحر المتوسط شمالاً الى غاية سلسلة الأطلس التلي جنوبا[3]، ويتميز هذا المناخ بطقس بارد ممطر شتاء تسقط أغلب الأمطار في نصف السنة الشتوي، كما تزيد شدة البرد فيه كلما زاد الارتفاع حيث تشهد المرتفعات الجبلية تساقط الثلوج والانخفاض في درجة الحرارة[4]. أما فصل الصيف يكون جافًّا أو قليل الأمطار بشكل واضح كما ترتفع فيه درجة الحرارة.

---

[1] هناني جيلالي، (تنظيم الري واستغلال المياه ببلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني(ق7-10ه/13-16م)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12، العدد 02، 2022، ص 334.

[2] أسماء خلوط، فتيحة قاضي، المرجع السابق، ص01.

[3] موسى هواري، تقنيات الزراعة ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة الموحدين (من القرن 1ه-7م إلى القرن 7ه-13م) اطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله، 2015-2016، ص142.

[4] عز الدين أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي من خلال القرن السادس الهجري، دار الشروق، ط01، 1403ه-1983م، ص 53.52.

2.3. مناخ الإستبس

يسود المنطقة الداخلية الممتدة من السفوح الجنوبية للأطلس التلي إلى السفوح الجنوبية الأطلس الصحراوي، حيث يضم السهول والهضاب الداخلية وأراضي الإستبس[1]، وتتميز هذه المنطقة بأجواء باردة قاسية في فصل الشتاء بينما تشهد ارتفاعا ملحوظا في درجات الحرارة في فصل الصيف كما تنخفض كميات الأمطار إلى حد كبير حيث تصبح قليلة أو تكاد تنعدم[2].

3.3. المناخ الصحراوي

يسود المناطق الصحراوية الممتدة من جبال الاطلس الصحراوي شمالا حتى هضاب الهقار جنوبا ويشمل أكبر مساحة من بلاد المغرب[3]. يتميز بالجفاف والارتفاع الشديد في درجات الحرارة مع بعض الانخفاض في بعض أشهر الشتاء. ولا تزيد نسبة التساقط فيه عن 100 ملم وهي أمطار متذبذبة وفجائية[4].

ومن خلال هذه النظرة المناخية العامة يتضح ان بلاد المغرب الأوسط تنحصر بين النطاق البيومناخي شبه الرطب في الشمال والنطاق شبه الجاف الى الجاف كلما اتجهنا جنوبا وهو يتميز بتساقطات موسمية شتوية قد تكون أحيانا معتبرة وتؤدي الى فيضانات وقد يسود هذا النطاق فترات جافة طويلة الأمد مثلما سنبينه في الفصل الثاني خلال الحديث عن العقبات الطبيعية. فكيف ستؤثر هذه الملامح المناخية على رسم الخريطة المائية في المنطقة؟

---

[1] ليلة أزرار، النشاط الفلاحي في الغرب الإسلامي، محاضرات ماستر01، قسم التاريخ جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، 2021 -2022، ص 55.

[2] محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والاندلس (160ه-296ه)، دار القلم للنشر والتوزيع الكويت، 1408ه-1987م، ص 17.

[3] ليلة أزرار، المرجع السابق، ص55.

[4] محمد خميس الزوكة، جغرافية العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، دط، الإسكندرية، 2000، ص139.

II.توزيع الموارد المائية في بلاد المغرب الأوسط

1.1.شبكة المجاري المائية السطحية: الأودية والأنهار حسب المصادر التاريخية

نجد في العديد من الكتابات التاريخية والجغرافية أن المؤرخين والكتاب والجغرافيين غالبا ما يخلطون في الذكر بين مصطلحي " النهر" و"الواد" ويستخدمونهما بشكل متبادل للإشارة إلى مجاري المياه، رغم الاختلافات بينهما، في بعض النصوص قد يشير الكاتب إلى نهر باستخدام مصطلح "الواد" بينهما يذكر الآخر الواد بوصفه نهراً على الرغم أن مصطلح واد ينطبق أكثر على مواصفات أودية المغرب الأوسط لأن معظمها موسمية وتظهر بعد الأمطار الغزيرة[1]. وفيما يلي ذكر لاهم الاودية الجارية مرتبة حسب موقعها من الشرق الى الغرب حسب ما ورد في كتب الكتابات التاريخية.

تعتبر وديان المغرب الأوسط جزءا حيويا من التنوع الجغرافي في المنطقة ويقع معظمها في الإقليم التلي وتصب في البحر الأبيض المتوسط ومن بين أبرز ما تم ذكره في المصادر التاريخية نجد:

ما ذكره ابن سعيد أن "بونة" وتقع أقصى شرق المغرب الأوسط" عنابة حالياً "كمدينة لها دور استراتيجي يصب نهرها في البحر من الجهة الغربية مما يجعله مصدرا للمياه العذبة وسبيلا للري، كما يعزز من تنوع الموارد المائية[2]. وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أهمية الأودية التي تجري في محيط بونة مثل (وادي سبيبة) سيبوس حاليا كان يُعرف هذا الوادي بتدفقه، كما أن المناطق المحيطة به تشتهر بغزر إنتاجها الزراعي[3].

[1] علوش وسيلة، الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط خريطتنا منشأتها إستغلالها من القرن 1هـ الى نهاية القرن 6هـ (مذكرة لينل درجة الماجستير في التاريخ)، جامعة قسنطينة (2) الجزائر 2013، ص.22

[2] ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص 124.

[3] البكري، المصدر السابق، ص49.

خريطة 02

ا: خريطة توزيع الأودية و الأنهار في المغرب الأوسط (ق.1- ق.6هـ).

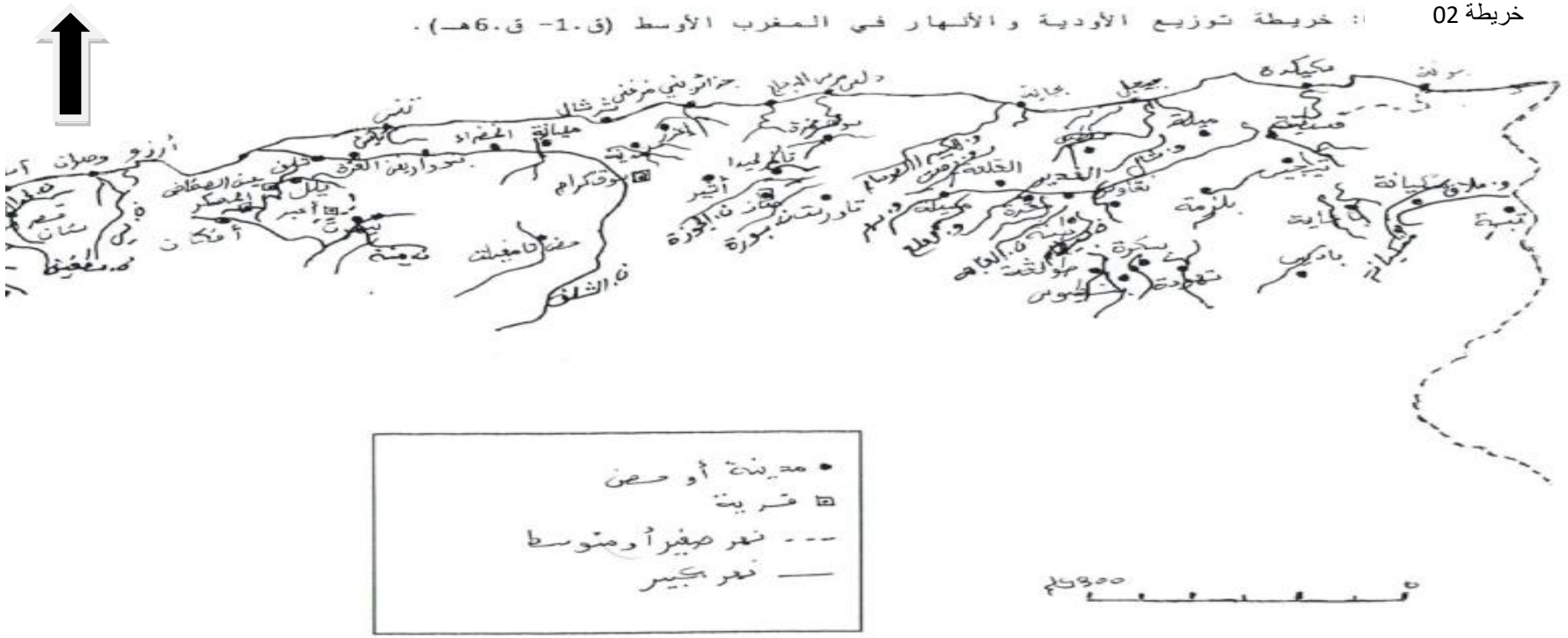

المصدر: ابن حوقل: صورة الأرض، البكري: المغرب، الإدريسي: نزهة المشتاق، مجهول: الاستبصا

ويُذكر البكري "وادي الرمل" الذي يقع على بعد 40 ميلاً من القيروان كمنطقة ذات طابع طبيعي مميز بأشجار الزيتون ورمالها الحمراء[1] ، مما يعكس وفرة المياه فيه وارتباطه بالأنشطة الزراعية.

نهر قسنطينة يمثل أحد العناصر الجغرافية المهمة التي تميز هذه المدينة التاريخية حيث يصب في الخندق العظيم الشرقي للمدينة ويذكر أن دوي تدفق المياه من النهر يسمع من أعلى المدينة ويشكل صورة دالة على شدة قوة المياه وتدفقها عبر الخندق[2]، الذي كان بمثابة حصن طبيعي حول المدينة.

و من جهة أخرى تعد مدينة باغاية "خنشلة حالياً" مثالاً بارز اعلى استفادة السكان من الأودية إذ اشتهرت بوفرة المياه التي ساهمت في انتشار المزارع والثمار فيها وصولا إلى "نهر ملاق" الذي يصفه البكري بأنه "أثر عظيم عليه أثار قديمة"[3]، فمن خلال هذا الوصف يبدو أن النهر كان ذا أهمية تاريخية وحضارية في تلك الفترة وقد تكون الآثار القديمة التي تحدث عنها البكري تشير إلى أثار حضارات قديمة استوطنت بالقرب من النهر أو استخدمته في نشاطاتها المختلفة ، وليس نهر ملاق فقط فالبكري في سياق حديثه يذكر لنا نهر تبسة الذي تحيا به فهو أيضا أثار قديمة كدليل على دور هذه الموارد في تطور الحضارات القديمة.

إضافة إلى ذلك تظهر منطقة "مسكيانة " أهميتها المائية عبر وجود نهر يغذيها، أما "بلزمة "منطقة قريبة من مدينة باتنة" فقد تميزت بوجود الانهار والمزارع كونها تقع في منطقة سهلية خصبة مما جعلها مركزا زراعيا هاما واشتهرت بكثرة الأفكار التي تتدفق على أراضيها[4]

---

[1] البكري، المصدر السابق، ص 49.

[2] ابن سعيد المغربي. المصدر السابق، ص 142

[3] البكري، المصدر السابق، ص 50

[4] البكري، المصدر نفسه، ص 50 ،51

ومن نقاوس إلى طبنة يذكر الحميري بشأن هذه المنطقة "هي حسنة كثيرة المياه والبساتين"[1] حيث استفادت بشكل كبير من وفرة المياه التي كانت تحيط بها بما في ذلك الأنهار واهم (نهرها بيطام) الذي يسقي جميع بساتينها كما يرتبط نهر بيطام في ذاكرة السكان المحليين بمفهوم بيت الطعام حيث يعتبرونه مصدرا رئيسيا للموارد الطبيعية التي تساهم في تأمين احتياجاتهم الغذائية[2]

يذكر الحميري مدينة المسيلة التي تقع بالقرب من قلعة أبي الطويل، وهي منطقة غنية بالموارد المائية كما يشير الى "نهر شهر" الذي يعد من الانهار الرئيسية التي تشق المدينة "على نهر يسمى نهر شهر في سباط من الأرض[3]" وهو ما يتجلى في خصوبة الأراضي المحيطة بالنهر.

أما وادي المالح فيقع بين المسيلة وأشير، يذكر أن هذا الوادي يجري بمياه مالحة وهو ما يميز هذه المنطقة عن الأودية الأخرى التي قد تحتوي على مياه عذبة، ويمثل ممر طبيعي في شبكة الطرق التجارية التي تربط بين مختلف المدن والمناطق[4]، وبما أن مياه هذا الوادي تتسم بملوحتها العالية يجعلها غير صالحة للاستهلاك البشري فقد احتمل أنها كانت تستخدم في أغراض أخرى كاستخراج مادة الملح منه.

يذكر الإدريسي مدينة "بيجاية" التي تقع بالقرب من (وادي الكبير) الذي يربط بين العديد من المناطق المحيطة وموقعه المميز بالقرب من البحر[5].

وعلى مرحلة من مدينة أشير توجد مجموعة من القرى الكبرى مثل بني واريغن والخضراء ومليانة وسوق كران وريغة الذي يمر بهم نهر شلف[6]، حيث يشق أراضي واسعة مزروعة بالحدائق التي تستفيد من مياهه في الري، ويختلف المؤرخون والجغرافيون

---

[1] الحميري محمد بن عبد المنعم. الروض المعطار في خبر الأقطار تح إحسان عباس ط1 مكتبة لبنان، بيروت، 1975، ص 587

[2] البكري، المصدر السابق، ص 51.

[3] الحميري المصدر السابق ص 558

[4] ابن حوقل أبو القاسم، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، 1996، ص 87

[5] الإدريسي أبو عبد الله بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح محمد حاج صادق، دت دط، ص129

في توظيفهم لأهمية هذا النهر، فالبكري يشير إلى أن المدينة لها العديد من الأنهار، بينما الإدريسي يرى أن نهر شلف هو النهر الرئيسي الذي يمر عبر المدينة[1].

اما ابن حوقل فوصف المدينة بانها منطقة ذات ارض خصبة وغنية بالمياه وتمتد هذه الانهار ايضا الى مدن اخرى وصولا الى مدينة خضراء[2].

ثم يشير ابن حوقل الى واد كثير الماء في مدينة تنس (وادي القصب) وهو واد يمتاز بكثرة تدفق الماء ويعتبر مصدر شرب الاهالي المدينة مما يجعله مصدرا حيويا للشرب والري والزراعة[3].

تيهرت "تيارت حاليا"[4]، تتميز بمناخ بارد وكثافة عالية من الغيوم والثلوج حيث يمر بها نهر يسمى بـ (نهر منية) الذي يأتي من جهة القبلة ويجري في منطقة شرقية للمدينة ما ساهم في توفير المياه لساكنها ولزراعة بساتينها[5]، وتيهرت ايضا تقع على واد شلف حسب ما يذكره اليعقوبي[6].

ثم معسكر التي أشار إليها الإدريسي "قرية عظيمة"[7]، تحتوي على أنهار وأشجار، ثم مدينة يلل [8]"قرب غليزان حاليا" وصولا إلى (نهر مرغيت) الذي يمر عبر قرية "تنس" ويعتبر شريان المدينة على الرغم من أنه صغير إلى أنه يلعب دورا كبيرا في ري الأراضي التي تقع على ضفافه، مياه هذا النهر تتدفق من مصادر جبلية أو عيون مائية قريبة[9].

مدينة واهران بينها وبين مدينة تنس مائتين واربعة اميال[10]، كانت تعتمد على "ماء من خارجها جار عليها في واد[11]", وغنية بالموارد الزراعية مثل القمح والشعير، اما مدينة تلمسان فيشير الحميري لوجود نهر كبير يمر بقربها (نهر

---

[6] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 88

[1] البكري، المصدر السابق، ص 61

[2] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89.

[3] ابن حوقل، المصدر نفسه، ص 78.

[4] المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد، أحسن التقايم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل ليدن 1906 ص 228

[5] البكري، المصدر السابق، ص 86

[6] اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب، كتاب البلدان، مطبعة بريل ليدن، 1860 ص 149.

[7] الإدريسي، المصدر السابق، ص 251

[8] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 86

[9] ابن حوقل، المصدر نفسه، ص 86

سطفسيف)[1]، الذي ساهم في توفير المياه اللازمة للمدينة في العصور القديمة، اما ابن حوقل فيصفها بـ "هي مدينة ازلية ولها انهار جارية واجرية عليها وفواكه "[2].

وصولا الى الجنوب يمتد (وادي ريغ) من الشمال الى الجنوب على طول يبلغ حوالي 150 كم فوق مساحة تقارب 1000 هكتار من الاراضي الصحراوية الجافة ويعد جزءا من حوض مائي جوفي ارتوازي.

2.1.التحليل الجغرافي لمحتوى خريطة توزيع الاودية والانهار في المغرب الأوسط

عند مقارنة المحتوى الجغرافي لخريطة توزيع الاودية والانهار في المغرب الأوسط والتي تم رسمها بناء على ما تم ذكره في المصادر التاريخية المختلفة مثل صورة الأرض ونزهة المشتاق مع الخريطة الموالية وهي خريطة حديثة تم إنجازها باستعمال تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية يمكن ان نستنج ما يلي:

استمرارية الأسماء الجغرافية للأودية حيث أن بعض الأودية لا تزال تحمل نفس التسميات التي وردت في المصادر التاريخية القديمة مثل "صورة الأرض" و"نزهة المشتاق". أمثلة على ذلك وادي مينا، وادي الشلف، ووادي الرمال .

التوطين الجغرافي للأودية على الرغم من الأدوات البسيطة المتاحة في الماضي، فان توطين الأودية والأنهار في الخريطة السابقة مقبول نسبيا وهذا ما يعكس فهماً جيداً للتضاريس لدى الجغرافيين والمؤرخين القدماء، تم اكتسابه بفضل الملاحظة المباشرة والخبرة المتراكمة. إن هذه الدقة النسبية في التوطين هي دليل على أهمية الروايات التاريخية في فهم الجغرافيا القديمة للمنطقة.

الفرق في مقياس الرسم يكمن الاختلاف الجوهري بين الخريطة القديمة والحديثة في مقياس الرسم .فالخرائط التاريخية كانت تفتقر إلى الدقة العالية في مقياس الرسم، مما يعني أنها لم تكن تتطابق بشكل دقيق مع الواقع من حيث الأبعاد والمسافات.

وبشكل عام فان المقارنة بين الخرائط الجغرافية القديمة والحديثة تبرز أهمية المصادر التاريخية ككنوز معرفية لا غنى عنها لفهم التطور الجغرافي للمنطقة عبر العصور، رغم محدودية أدواتها آنذاك

---

[10] الادريسي، المصدر السابق، ص 257

[11] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89

[1] الحميري، المصدر السابق، ص 135

[2] ابن حوقل، المصدر نفسه، ص 88

خريطة 03 : توزيع الاودية في الجزء الغربي من المغرب الأوسط (الجزائر)
N
W
E
S
الجزائر
وهران
تيارت
Oued Chlef
Oued Chlef
Oued Djer
Oued Nahr-Ouassel
Oued Maoussa
Oued Tafna
Oued El Ogla
Oued Touil
المفتاح
حدود الجزائر
حواضر
اودية
70 35 0 70 كم
2°0'0"W
1°0'0"W
0°0'0"
1°0'0"E
2°0'0"E
3°0'0"E
37°0'0"N
36°0'0"N
35°0'0"N
34°0'0"N

2.توزيع المياه الباطنية

1.2.توزيع العيون

يقصد بالعيون في هذا السياق منابع المياه أو الينابع التي تخرج من باطن الأرض وتشير أيضا إلى الأماكن التي يتم فيها استخراج الماء من باطن الأرض، كما يمكن أن تستخدم كلمة "العين" للإشارة إلى المنبع أو الماء الجاري منها كما يقول ابن منظور "العين عين الماء، والعين التي يخرج منها الماء، والعين ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض ويجري"[1]، وتعتبر العيون من الموارد المائية للمغرب الأوسط ومصدر الشرب لسكانها وسقي أراضيها وحسب المصادر الجغرافية والتاريخية يتضح أنها تتوزع عبر مختلف مناطق المغرب الأوسط ويتبين من توزيع مناطق العيون أنها تتركز في المناطق الجبلية العالية حيث تستفيد من الثلوج وتعد هذه المناطق نقاط تقييم المياه في الجهة الغربية وتعتمد العيون مثل الأنهار على مياه الأمطار فبعضها تزداد مياهه في فصل الصيف بينما لا تتجاوز جريان حدود مياهه الأصلية[2].

من خلال استعراضنا لكتب الرحالة والجغرافيين لاحظنا أنهم أعطوا اهتماما لذكر العيون ضمن وصفهم للأماكن التي مروا بها من الشرق إلى الغرب، بداية بقرية مسكيانة "أم بواقي حاليا" حيث يصفها ابن حوقل "وماءها جار من عيون فيها من الحوت الكثير"[3]، ما يبرز تدفق المياه من هذه العيون بغزارة، مما جعلها موردا طبيعيا حيويا، وفرة الأسماك في هذه العيون يعكس تنوع الموارد المائية وحتى الثروة البيئية، ويؤكد لنا هذا نقاء المياه وعذوبتها، ثم مدينة باغايا "خنشلة" حاليا فيشير إليها البكري بأنها مدينة جليلة أولية ذات أنهار وثمار ومزارع ومسارح، مما دلنا على وجود موارد مائية غزيرة بها، على الرغم من أنه لم يذكر العيون بشكل صريح إلا أنه في الإشارة إلى مدينة باغايا فمن المحتمل جدا أنها كانت تحتوي على عيون باعتبار موقعها الجغرافي الطبيعي بين الجبال .

---

[1] ابن منظور، المصدر السابق، ج 10 ص 250

[2] عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي، دار الشروق، 1983 ص 60

[3] دار الشروق، 1983 ص 60

خريطة 04

خريطة توزيع العيون في المغرب الأوسط (ق.1- ق.6هـ).

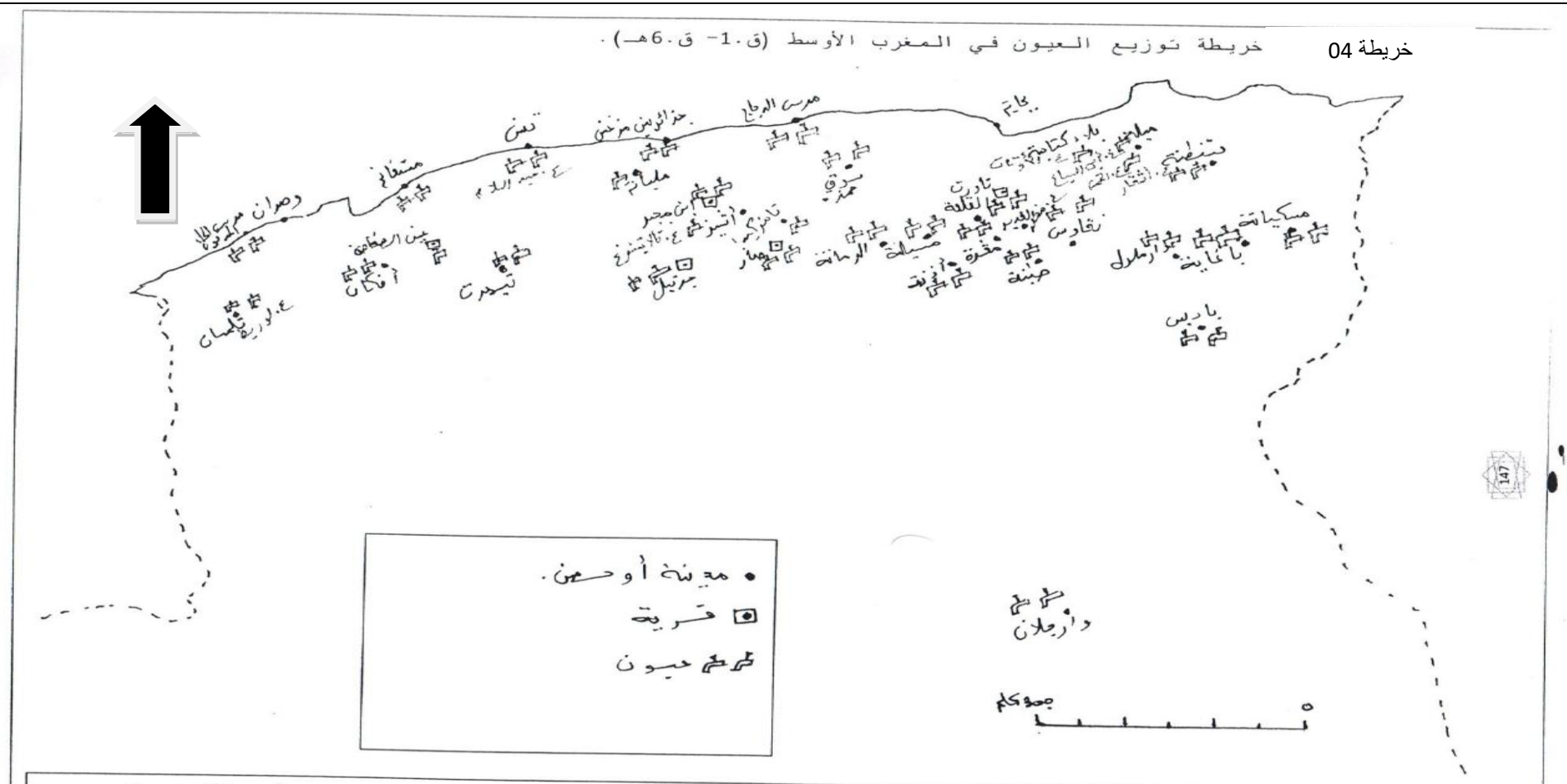

المصدر: ابن حوقل: صورة الأرض، البكري: المغرب، الإدريسي: نزهة المشتاق، مجهول: الاستبصار.

إضافة إلى ذلك يشير البكري إلى منطقة باب تهودا، وباب كتامة، وباب الفتح "منطقة الأوراس"، حيث ورد ذكر "جداول الماء العذب" [1]التي تجري داخل السكك المدينة، وعلى الرغم من أن جداول الماء ليست نفسها العيون، ولكنها مرتبطة بها في السياق الجغرافي، وغالبا ما يكون منبعها العيون. ثم مدينة المسيلة كانت تتميز بتنوع الموارد الطبيعية، فكانت تمتلك العديد من العيون التي تعتبر من مصادر المياه العذبة الأساسية في المنطقة. هذه العيون كانت منتشرة على نطاق واسع، "والمسيلة كثيرة النخل والبساتين تشقها جداول المياه العذبة"[2]، وتحتوي على عين خرارة تمتاز بمياه عذبة التي تتدفق عبر سرداب كبير[3]، يظل مصدرها غامضا بعض الشيء، ويقال إن المياه تجلب من جبل تامروت القريب، مما يعزز الفرضية القائلة بأن العيون في المنطقة ترتبط ارتباطا وثيقا بالتضاريس الجبلية التي تعد مصدر المياه الجوفية، ويشير صاحب الاستبصار إلى هذه العين بقوله، "وتعرف هذه العين بأبي السباع"[4]

ومن الميلة الى طبشة ومن طبنة الى مدينة الزاب ثم الى مقرة ومن طينة شرقا الى دار ملول "شربهم من عيون بها جارية"[5]، مما يعني ان المنطقة كانت تحتوي على مياه عيون التي كانت تعتبر مصدر شرب لسكان المنطقة.

ومن المسيلة وصولا الى مرسى الحجاج تقع ازقور حيث نجد بها عيون عذبة ذات مياه باردة وتحتها شجرة ضخمة[6].

تتوفر مدينة بجاية بحكم موضعها الجغرافي ذو الطابع التضاريسي المتنوع بين الجبال والسهول على موارد مائية متنوعة بما فيها العيون ويؤكد صاحب الاستبصار في قوله "مدينة بيجاية كثيرة الفواكه والأثمار..... تسقيه أنهار وعيون"[7].

---

[1] البكري، المصدر السابق، ص 51.

[2] الحميري، المصدر السابق، ص 569

[3] الحميري، المصدر نفسه، ص 569

[4] مجهول الاستبصار في عجائب الامصار، سعد زغلول، دت، دط،ص 166

[5] الادريسي، المصدر السابق، ص 264

[6] البكري، المصدر السابق، ص 65

[7] مجهول الاستبصار، المصدر السابق، ص 130

وبين بيجاية وجيجل هناك منطقة تسمى "المنصورية" تقع على الساحل وهي منطقة جبلية بها جبل فيه ثقب يخرج منه الماء عيون في أوقات معينة لتحديد مواقيت الصلاة الخمس كما أن هناك صوتاً يشبه يشبه دوير الرحل الفارغة قبل انبعاث الماء وهذه الظاهرة كانت تحدث بانتظام ليلاً ونهاراً في أوقات الصلاة مما يثير الدهشة والاهتمام[1].

ومنه إلى مدينة تنس التي كانت محاطة بصور حصين وواحات منعزلة تحميها ووجود عين مياه توفر لأهلها مياه الشرب، "وشرب أهلها من عين لها"[2]، ثم مدينة يلل حيث تحتوي على العديد من العيون ومدينة يلل بها عيون ومياه كثيرة[3].

-أما قرية عين الصفاصف فكان سقي مدينة يليل منها[4].

- وفي الطريق إلى مدينة تيهرت منطقة جوز منهل وهو مكان يرتاده الناس ولكنه لا يحتوي على سكان دائمين، ويحتوي على عيون مائية، "وفيه ماء من عيون عذبة"[5].

ثم إلى مدينة وهران حيث يشير البكري إلى وجود "مياه سايحة"[6] وهذا يعني وجود عيون جارية ومتدفقة بشكل طبيعي. وصولا إلى تلمسان حيث يصفها لنا البكري بأنها مدينة مسورة محاطة بجدران وأبواب وهي تقع في سفح جبل شجرة الجوز وتحتوي على خمسة أبواب، مع الإشارة إلى مصدر المياه وهو العيون الذي كان يتم جلبه إلى المدينة، (عيون لوريط) وهي عيون مياه تقع بين تلمسان والمدينة على مسافة 6 أميال أي ما يعادل حوالي عشرة كيلومترات تقريبا كانت تستخدم لتزويد المدينة بالمياه العذبة[7].

---

[1] مجهول الاستبصار، المصدر نفسه، ص 130
[2] الإدريسي، المصدر السابق، ص 251
[3] الإدريسي، المصدر نفسه، ص 251
[4] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85
[5] ابن حوقل، المصدر نفسه، ص 85
[6] البكري، المصدر السابق، ص 70
[7] البكري، المصدر نفسه، ص 76

2.2.توزيع الآبار في بلاد المغرب الأوسط

تعتبر الآبار من بين أقدم الوسائل التي استخدمت لاستخراج المياه الجوفية، وقد ساهمت هذه المنشآت المائية في تلبية احتياجات السكان للري والشرب خاصة في المناطق الجافة وشبه الجافة مثل المغرب الأوسط، الذي يتميز بتضاريسه المتنوعة وظروفه المناخية القاسية.

لقد ورد ذكر الآبار في العديد من المصادر الجغرافية والتاريخية، حيث أشار إليها الجغرافيون والتاريخيون من البكري والإدريسي وبينا دورها في تحديد أماكن الاستقرار البشري وتوزيع النشاط الزراعي وحتى الاقتصادي، ففي كتاب المغرب مشيرا إلى دورها في تزويد القوافل والمسافرين بالمياه[1].

خريطة 05

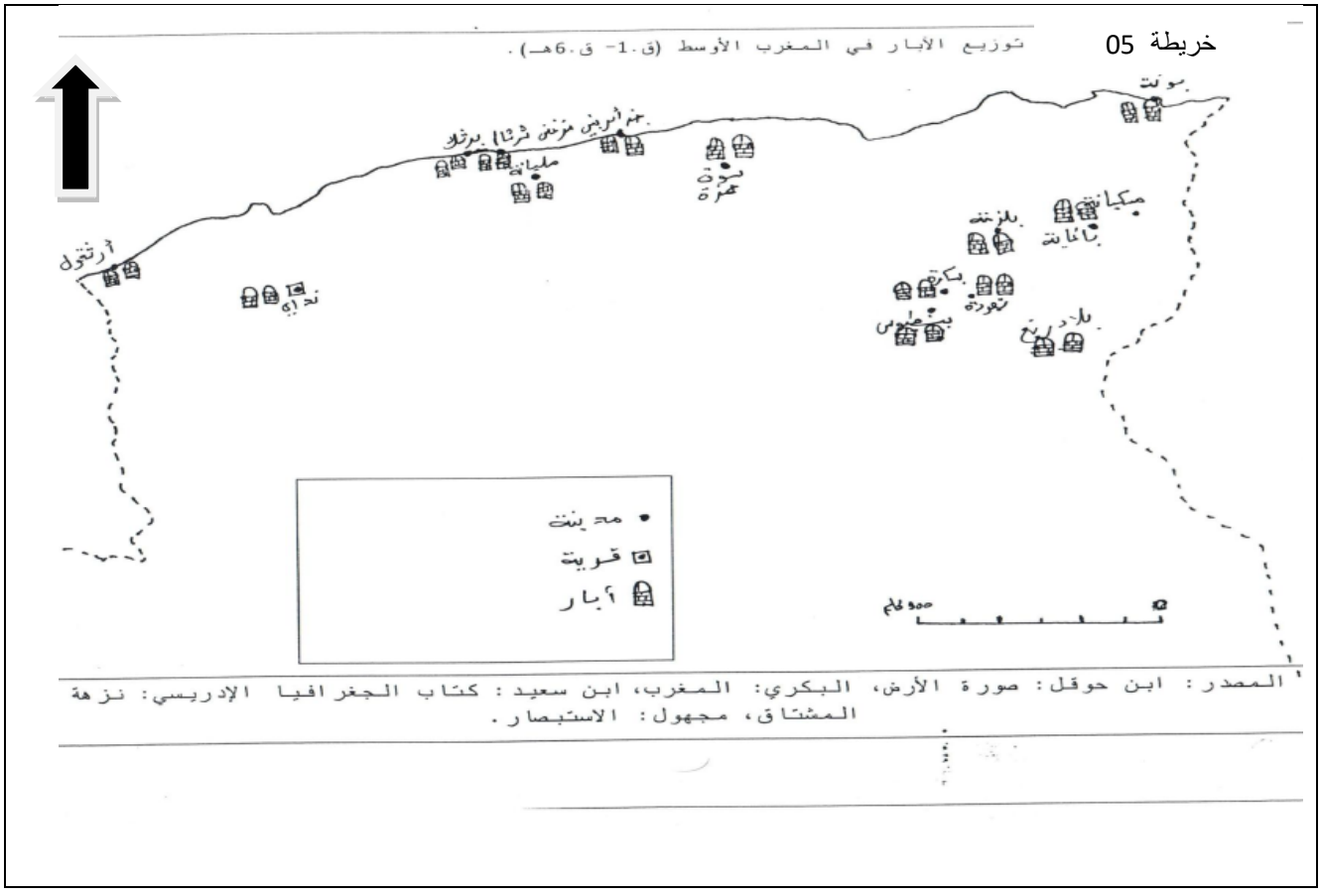

[1] البكري، المصدر السابق، ص 97

يعرف Capot-Reyh البئر على أنه حفرة مائية يتجاوز عمقها مترا واحدا، يتم حفرها للوصول إلى المياه الجوفية المخزنة في باطن الأرض وتستخدم هذه المياه لتلبية الاحتياجات البشرية، سواء عبر الاستهلاك المباشر أو لأغراض من الري والسقي وتحفر الآبار عادة في طبقات جيولوجية تحتوي على المياه ما يسمح للإنسان بالوصول إليها عبر تقنيات ووسائل استخراج متنوعة تتطور مع مرور الزمن[1].

تعد الآبار من المصادر الأساسية لتوفير المياه خاصة في مجال الري، وتنقسم الآبار إلى عدة أنواع من بينها الآبار الارتوازية والآبار التي تعتمد على مياه الأمطار، حيث ترجع المياه المتساقطة من الطرق وسقوف المنازل وقد أشارت المصادر الجغرافية والتاريخية إلى وجود هذه الآبار في المدن حيث عرفت باسم "بئر الدار" و"بئر الأرض" وتخصص بعضها لاستهلاك السكان، بينما يخصص بعضها الآخر لسقي الأراضي الزراعية، وفقا لما ورد في المدونات التاريخية التي ذكرت " بئر الشرب" وبئر الماشية وتجدر الإشارة إلى أن هذه الآبار قد وجدت بالقرب من التجمعات السكانية حيث تم إنشاء بعضها الآخر في المناطق البرية لتلبية احتياجات الرعاة والمزارعين[2].

يشير سعد زغلول الى أن مياه الأمطار التي تهطل على جبال الأطلس الصحراوي تتجمع تحت سطح التربة، مكونة خزانات مائية طبيعية تتجلى في شكل عيون وأبار ارتوازية، لاسيما في الواحات الشمالية مثل وادي ريغ وورقلة وصحراء وهران وزواغات أما في عمق الصحراء لا يتجاوز متوسط التساقطات 125 ملم فإن الاعتماد على المياه الجوفية يصبح ضروريا[3].

---

[1] بن عميرة محمد، الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة الموحدين، رد، جامعة الجزائر، 2004-2005 ، ص 220

[2] جودت يوسف عبد الكريم: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين (43ه / 9 - 10م) ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دت، ص 60.

[3] علوش وسيلة، المصدر السابق، ص50.

أما أبار المغرب الأوسط بدأ بمدينة (بونة) حيث يصف البكري وجود بئر على ضفة البحر ويسمى بئر النترا، منها يشرب أكثر أهلها[1]، ومن مدينة (باغاية) إلى مدينة بسكرة أربعة أيام تضم العديد من الأبار، من بينها بئر يقع في الجامع[2].

ومدينة قسنطينة هي الأخرى يقع بقربها حصن بلزمة ويتميز بموقعه الإستراتيجي ومتعته ويضم هذا الحصن أبارا ذات مياها طيبة وعذبة ما جعله مصدرا مهما للحياة، في المنطقة وتوفر هذه الابار احتياجات السكان إذ تقع داخل الحصن وتحيك بها مساحات خضراء تزيد من جودة مياهها[3].

نادرا ما تخلو قرية من وجود الأبار فمن بينها أيضا أبار (سوق حمزة) كونها آبار عذبة و(بارشكوا) آبار عذبة لا تغور تقوم بأهلها وبعواشيبهم، أما(شرشال) فتتمتع بمياه جارية وآبار عذبة، بالإضافة الى برشك وجزائر بني مزغنة هي الأخرى التي كانت غنية بالآبار والمياه العذبة[4]، حيث يذكر الإدرسي أن "شرب أنداها من عيون على البحر عذبة ومن ابار"[5].

رغم أن هناك توزيعا جغرافيا متوزانا لموارد الماء في بلاد المغرب الأوسط، إلا أن وفرتها تبقى غير منتظمة، لاسيما بالنسبة للمياه السطحية التي تعتمد أساسًا على كميات الأمطار. إذ تزداد غزارة الأودية في فصل الشتاء بفضل التساقطات المطرية، بينما تعرف تراجعًا خلال فترات الجفاف. في ظل هذه الحتمية الجغرافية، يبرز التساؤل حول الكيفية التي تمكن بها الإنسان من إدارة هذه الموارد المائية وتكييف استغلالها وفق الظروف المناخية المتغيرة.

III. تسيير موارد الماء في بلاد المغرب الاوسط

خلق الله الماء فأوجده في الكون ليكون مشتركا بين الناس والدواب وجعله وسيلة لسقياهم وحياتهم ولهذا تعد المياه الطبيعية عنصرا أساسا وضروريا لاستمرار الحياة. وعليه اعتبر الإسلام الماء من المشتركات العامة التي لا يجوز أن يتملكها فرد بعينه

[1] البكري، المصدر نفسه، ص55

[2] البكري المصدر السابق، ص52

[3] الإدريسي المصدر السابق، ص 270

[4] جودت عبد الكريم، المصدر السابق، ص 61.

[5] الادرسي، المصدر السابق، ص 114.

أو فئة معينة وإنما الاستفادة بها تكون حقا من حقوق كل الناس لأن الأصل فيها هو الشراكة العامة، وفي ذلك يقول رسول الله "المسلمون شركاء في ثلاث الماء والكلأ والنار"[1].

لقد استثنى الإسلام من نطاق الملكية الفردية تلك الأشياء التي يتوقف عليها وجودها أولا يمكن الانتفاع بها إلا بمجهود خاص، وتكون ضرورية للجميع فأوجب أن تكون مملوكة ملكية جماعية، وذلك حتى لا يحتكرها فرد أو مجموعة أفراد أو هيئة، مما قد يؤدي إلى الإضرار بالمجتمع ومن المؤكد أن ملكية المياه وحق استغلالها تخضع لقواعد دقيقة أرساها العرف[2] والتقاليد المتوارثة على مدى قرون.كما جرت العادة على أن بعض الأودية تعد مملوكة ولها ملاك معروفون.أما النوع الأخر منها، فهى مياه مشاعة يستفيد منها كل من تمر بالقرب من أرضه بالإضافة إلى الأدوية التي تعتبر ملكا عاما للدولة، ولا يجوز لأحد أن يتملكها أو يستخدم مياهها دون إذن[3]. وقد جرت العادة في إحدى قرى ريف تلمسان أن يتقاسم السكان مياه ساقية مشتركة وفق نظام تقليدي متبع منذ القدم، يتم السقي بداية من الأراضي الواقعة في الأعلى، ثم يعطى الدور للأراضي السفلية وفي اليوم التالي يُعاد السقي من الاعلى مرة أخرى. ثم لبعض الأراضي الواقعة في الوسط. ويلاحظ أن هذا النظام يخضع للعادات المحلية الجارية بين أهل القرية لأنها قسمته تخالف ما نص عليه الشرع[4]. ولقد قسمت ملكية الماء إلى نوعين: النوع الأول هو المياه ***المملوكة*** وهي تلك التي تتواجد في أرض يملكها شخص ما. وقد تكون كافية له ولسقي أرضه، أما إذا تجاوزت هذه المياه حدود أرضه وجرت في ارض لا يملكها، فإنها تخرج عن نطاق ملكيته. أما النوع الثاني، فهو ***المياه غير المملوكة*** أصلاً، وتشمل الأودية والعيون الجارية التي لا تقع ضمن ملكية خاصة[5].

---

[1] السيد سابق، فقه السنة، ج 3، الفتح الإعلام العربي، دط، القاهرة، ص106.

[2] العرف: وجمعه أعراف وهو ضد النكر وهو كل ما تعرفه النفس من خير تطمئن إليه وفيه يتبع الناس بعضهم بعضا، بنظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج09، ص 239-240.

[3] متعب بن حسين الفتامي، (الأضواء على الرعي والفلاحة وأنظمتها في المغرب الأوسط من خلال كتاب النوازل للونشريسي)، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، العدد 03، جمادى الأولى 1438ه/يناير 2017م، ص 14.

[4] هناء شقطمي، الخطاب الفقهي والريف في المغرب الأوسط من خلال الدرر المكتونة في نوازل مازونة، شهادة لنيل ماجستير كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة 2، 1433-1434ه/2012-2013م، ص101.

[5] محمد حجي، نظرات النوازل الفقهية، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دط01، 1420-1999، ص 156.

1.تسيير المياه السطحية

1.1.تسيير المياه الجارية الطبيعية

تتمثل في الاودية التي أجراها الله تعالى وهذا ما ذكره الماوردي وهي المجاري المائية التي لم يتدخل الإنسان في حفرها أو حفرتها الدولة للمصلحة العامة[1]، وفي هذا النوع من الأنهار لا يجوز للحاكم أن يمنع أحد من الانتفاع بالماء بكل الوجوه مادام ذلك لا يحسب ضررا للنهر أو الغير، فالماء هنا حق مشترك بين الناس، وهم جميعًا شركاء فيه وهذا القسم أيضا يمكن أن نميز به:

أولا: الأنهار الكبيرة ذات المياه الكثيرة بحيث تكون كافية لا تدعو إلى نزاع بين الناس وهذا النوع من الانهار يجوز للمجتمع استغلال مياهه في الشرب ولكل واحد الحق في الاستفادة منه لسقي أرضه كيف شاء[2].

ثانيا: الانهار الصغيرة وتنقسم إلى قسمين:

أ. ما يكفي ماؤها وإن لم يُحبس ويكفي جميع أهله من غير تقصير، فيجوز لكل من له أرض أن يأخذ منه له لري أرضه وقت الحاجة دون أن يعارض أحد وإذا أراد بعض الناس أن يستخرجوا منه نهذا ليساق ماؤها إلى أرض أخرى أو يجعلوه يصب في نهر آخر افلا يمنعون إن لم يحدث ذلك ضرر بأهل النهر[3].

ب. أما الأنهار الصغيرة التي لا تكفي ماؤها للسقي إلا بحبسه في سد، فيتم استغلالها من قبل الأعلى قبل الأسفل. فيحبسه الأول ليسقي أرضه ثم الذي يليه، حتى يكون آخرهم حبس الماء ومقدار الماء المحبس لكل واحد منهم.

---

[1] أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة دار ابن قتيبة، ط01، 1409-1989، ص 235.

[2] وسيلة علوش، الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط خريطتها - منشأتها استغلالها من القرن 1ه إلى نهاية القرن 6ه، شهادة لنيل الماجستير في تاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة 2، 1433-1434ه /2012-2013م، ص102.

[3] الماوردي، المصدر السابق، ص236.

2.1. تسيير المياه الجارية غير الطبيعية

يقصد به المجاري التي يحفرها الناس في الأراضي التي أحيوها فتكون ملك لمن قام بحفرها، ويكون لهم فيها حق الشرب ايضا أي استغلال مياه النهر لسقي أراضيهم أو إيصال المياه إلى أراضيهم بشرط ألا يلحق هذا الاستغلال ضررا بأصحاب النهر[1].

ويكون استغلال الشركاء لماء المجرى المائي بثلاث طرق رئيسية هي:

– التناوب عليه بالأيام، فيكون إما مخصصا ليوم معين من أيام الأسبوع أو يتم التناوب بين الليل والنهار ويقول الفرسطائي وإذا أراد الشركاء، أن يقسموا الماء الجاري فإنما يقسمونه على الساعات والليالي والأيام، ولا يجوز قسمته بالقواديس ولا بالأحواض لأن ذلك مجهول ولا يصل إلى معرفته[2].

وقد ورد في المعيار للونشريسي عدة نوازل تبين كيفية استغلال مياه النهر عن طريق التناوب ويقول في ذلك "أن أهل القرية كانوا يقتسمون الماء على دول معلومة بينهم كان بعضهم يأخذ الماء يوما كاملاً وطول الليل ومن كان لهم ماء يقسمونه على خمس سواقي..... واتفقوا على توزيعه ويأخذ كل واحد منهم نصيبه لساعات معلومة"[3].وفي حالة كان الشركاء ينتفعون بالماء ويقتسمونها على أجزاء معلومة توجب عليهم عدم تفويت دورهم فليس له أخذ يوم غيره[4].

---

[1] يحي القرشي،كتاب الخراج، دار الشروق، ط1، 1986م، ص136.

[2] أبي العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي، القسمة وأصول الأرضيين،
تح وتع: بكير بن محمد الشيخ بلحاج، محمد صالح خاصر، نشر جمعية الثراث، ط 02، غرداية، 1418ه/1997م، ص.

[3] أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والاندلس والمغرب، خرجه محمد حجي، ج8، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ص394.

[4] أبي جعفر أحمد بن نصر الداودي، كتاب الأموال، تح: رضا محمد سالم شحاده، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2008، ص 181.

أو يتم تقسيم فم النهر عرضا بخشبة ممتدة بين ضفتيه بها ثقوب حسب حقوق كل واحد من الماء حيث يدخل في كل ثقب منها قدر ما استحقه صاحبها من خمس أو عشر وعندما يحين دوره يأخذه إلى أرضه.أو أن يحفر كل واحد من الشركاء في أرضه شربا مقدارا باتفاقهم ليأخذ من ماء النهر قدر حقه ويساوي فيه جميع شركائه[1].

2.تسيير المياه الجوفية:

1.2. تسيير مياه العيون:

كما للأنهار أنواع ايضا العيون يمكن ان نميز فيها:

أ. عيون طبيعية أجراها الله تعالى. وهي عيون منبعها من الجبال وحكم مياهها كحكم مياه الأنهار، وقد ذكر الماوردي أن من أحيا أرضا بهذه المياه فله أن يأخذ منها ما يكفيه، وإن اختلف فيه بسبب قلته نظرا إن كان بعض الناس أسبق إحياء من بعض فيكون للأسبق استيفاء شرب أرضه ثم الذي يليه، فإن لم يعد يكفي الجميع كان نقصانه في حق المتأخر في الإحياء، وإن تساووا في الاحياء ولم يسبق بعضهم بعضا تحاصوا فيه إما بقسمته أو بالمهايأة عليه[2].

وإذا كانت هناك عين ماء مشتركة يسقون منها دون أن يزعم أحد منهم امتلاكها أو اختصاص بها، وكانت بعض الأراضي والجنات الواقعة أسفل العين تستفيد من مائها في سقي مزروعاتهم وخضرهم ويستقون الأعلى فالأعلى وأراد الذين ليس لهم تحتها أرض وجنات الدخول معهم في فضل الماء ليبيعوه أو يمنحوه لغيرهم[3].

ب. عيون استنبطها الناس فتكون ملكا لمن استنبطها ويملك معها حريم وحريم العين خمسمائة ذراع[4]، لمستنبط هذه سوق مائها إلى حيث شاء وكان ماجرى فيه ماؤها ملكا له وحريمها[5].

---

[1] وسيلة علوش، المرجع السابق، ص 110

[2] الماوردي، المصدر السابق، ص 240- 241.

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج 5، ص 152-153.

ج. العيون التي يستخرجها الرجل في ملكه تكون أحق بمائها لمن يروي أرضه فإذا كانت كافية لري أرضه فلا يجوز له آن يوزعها إلا لمن هو في حالة اضطرار، أما إذا كانت الكمية تزيد عن حاجته ورغب في استصلاح أرض مهملة بفضل هذه الزيادة فهو أحق بذلك لاستغلالها في الري بدلاً من تركها وفي حال تمكن من استعمالها أكثر من حاجته فإن عليه أن يوزعها على أصحاب المواشي، ولا يسمح له ببيع الماء لهم. ولكن بالنسبة لأصحاب المحاصيل الزراعية فإنه ليس ملزما بتوفير الماء لهم، ولكن يُسمح له ببيعه لهم إذا أراد ذلك[1].

2.2. تسيير مياه الآبار الخاصة بالاستعمالات المنزلية.

إن الحاجة الواسعة للاستهلاك المائي خاصة ساكنة المدن بين الاستعمال في سقي الأجنة والشرب والغسيل وحتى في الحرف والصناعات جعلهم يلجأون إلى حفر الآبار داخل بيوتهم[2]، وهو ما يذكره أحد الباحثين أن مدينة تلمسان عاصمة بني زيان كانت بيوتها لا تكاد تخلو من الآبار، نتيجة قرب الماء من سطح الأرض، وسهولة حفر البئر، علما أن حفر الآبار في الأماكن الأخرى يحتاج إلى أموال كبيرة لإنجازها، وذلك حسب طبيعة الأرض وتربتها[3] وكانت تحفر الآبار داخل البيوت أو بالقرب منها ولا تكون إلا في ممتلكاتهم الخاصة[4].

---

[4] سليمان بن خلف الباجي، فصول الأحكام و بيان ما مضى عليه العمل عند الفقهاء والحكام، تح: محمد أبو الأجفاف، دار ابن حزم، ط01، 1422ه-2002م، ص188.

[5] الماوردي، المصدر السابق، ص 241.

[1] الماوردي، المصدر نفسه، ص 241.

[2] علاوة عمارة، مغرب أوسطيات دراسات في تاريخ وحضاراة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط، نشر مؤسسة حسين رأس الجبل، ط 1، قسنطينة الجزائر، 2013، ص 190.

[3] هنان جلالي، المرجع السابق، ص 68

[4] علاوة عمارة، المرجع السابق، ص 190

أولا: آبار السابلة أي الآبار المخصصة للمصلحة العامة يعد ماءها ملكا مشتركا بين الناس، وحتى من قام بحفرها لا يتمتع بميزة خاصة، إذ تتاح له الاستفادة منها مثل غيره، وهو مخصص لشرب الإنسان فقط ولا يجوز استخدام مياهها لسقي الحيوانات أو سقي الزروع إلا إذا فاض مستواه وأن يكون ماءها كافيا للإنسان[1].

ثانيا: الآبار التي تحفر قصد الانتفاع بمائها كالبادية إذا نزلوا أرضا فحفروا فيها بئرا ليستقوا منها ويسعوا مواشيهم كانوا أحق الناس بمائها، أما إذا ارتحلوا عنها صارت البئر سابلة، وإذا عادوا إليها مرة أخرى فإنهم يعاملون كغيرهم في الانتفاع بها[2].

يرى فقهاء المالكية أن أصحاب بئر الماشية أحق بمائهم حتى يبقى عن حاجتهم له، ومنه يجوز أن يسقي منه الناس، وتعد آبار الماشية من آبار الصدقة، اذ لا يحق لأهلها منع غيرهم من الاستقاء وإن فعلوا ذلك جاز محاربتهم، لقوله صلى الله عليه وسلم "لا يمنع نقع البئر ولا يمنع فضل الماء"[3] إذا ورد أصحاب المواشي إلى ماء يملكه الأعراب فمن حق أهل ذلك الماء أن يمنعوهم منه حتى يشربوهم ومواشيهم، فإذا تبقى من الماء شيء بعد ذلك فلأصحاب المواشي أن يشربوا مما بقي[4].

ثالثا: الآبار التي يحفرها الإنسان لنفسه لا تعد ملكاً له ما لم يصل بالحفر إلى استخراج الماء منها فإذا استخرج الماء أصبح مالكاً لها ملكية تامة، ويعد من كمال الإحياء. وإذا كانت البئر تحتاج إلى بناء، توجب عليه إكمال بنائه، وهنا يصبح هذا الشخص مالكها. وهذا ما عبر عنه الماوردي "من كمال الإحياء واستقرار الملك"[5].

---

[1] جيلالي هناني، (الملكيات المائية ببلاد المغرب الأوسط في العهد الزياني من خلال النوازل الفقهية)، مجلة فرطاس الدراسات الحضارية والفكرية، المجلد 11، العدد01، 2013، ص13

[2] الماوردي، المصدر السابق، ص 238.

[3] بوفلجة حرمة، الأحكام الفقهية لاستغلال المياه الجوفية وتوزيعها منطقة أدرار أنموذجا، شهادة الماجستار في العلوم الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم الشريعة، جامعة أدرار، 1428-1429ه/2007-2008، ص 88

عبد الله بن عبد الرحمن أبي زيد القيروان

[4] عبد الله بن عبد الرحمن أبي زيد القيرواني، النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تح محمد الأمين بوخبزة، المجلد 10، دار الغرب الإسلامي، ط1 ، 1999، ص 495

[5] الماوردي، المصدر السابق، ص 239.

خلاصة الفصل

تبرز دراسة توزيع الموارد المائية في بلاد المغرب الأوسط مدى تأثير المناخ كعامل حاسم في تشكيل الخريطة المائية للمنطقة، حيث تتسم أغلب أقاليمها بتفاوت واضح في كمية التساقطات، ما بين وفرة نسبية في الشمال وندرة متزايدة كلما اتجهنا جنوبا. هذا التباين المناخي أدى إلى توزيع غير متكافئ للموارد المائية، حيث تميز الجزء الواقع شمال الجبال الاطلسية بتوزيع معتبر لشبكة مهمة من الوديان في المناطق الشمالية ذات المناخ شبه الرطب يصب معظمها في البحر مثل وادي "قسنطينة" وادي "بونة" ووادي "شلف" ووادي "مينة" ، بينما تقل المياه السطحية الجارية في اقاليم الجنوب بسبب قلة التساقطات ما جعلها تعتمد بشكل واسع على استغلال المياه الجوفية من خلال مياه العيون او عن طريق حفر الآبار.

هذا التوزيع غير المتظم للموارد المائية الناتج عن تأثير المناخ يكشف عن بنية تلعب فيها الطبيعة دورا محوريا فرضت على الانسان التدخل كعامل يعزز قدرة المجتمع على التأقلم مع ظروفه المائية غير الثابتة، ويضمن الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي في المغرب الأوسط وذلك بالبحث عن حلول لتدبير هذه الموارد بفعالية فتحتم عليه اللجوء الى إيجاد أدوات للتسيير تضمن القسمة العادلة لها. وقد تجلى ذلك من خلال وضع قواعد لتنظيم استغلال الماء بين الافراد والجماعات من خلال تقسيم مياه السقي الجماعي عبر أنظمة تتراوح بين العرفية أو الدينية. كما راعى السكان في هذه الممارسات مبدأ التوازن بين حاجات الاستهلاك ومتطلبات الاستدامة، ما يعكس فهما بيئيا متقدمًا رغم محدودية الوسائل التقنية المتوفرة.

الفصل الثاني

الماء والنشاط البشري في بلاد المغرب الاوسط الأهمية والعقبات

I.الماء والعمارة في بلاد المغرب الاوسط

II. اهمية الماء في النشاطات البشرية

III.العقبات والمشاكل المرتبطة باستغلال المياه في بلاد المغرب الأوسط

خلاصة الفصل

تمهيد

يعد الماء من أبرز العوامل الطبيعية التي ساهمت في توجيه مسار النشاط البشري وتحديد أماكن الاستقرار والعمران عبر العصور، لا سيما في المناطق ذات المناخات الجافة أو شبه الجافة مثل بلاد المغرب الأوسط. فالموارد المائية لم تقتصر أهميتها على تأمين حاجة الإنسان من الشرب، بل تعدت ذلك لتؤثر بشكل مباشر في الفلاحة الصناعة والتجارة. ومع مرور الزمن واجهت المنطقة تحديات متزايدة في استغلال هذا المورد الحيوي نتيجة لتزايد الكثافة السكانية.

وفي هذا الفصل، سنسلط الضوء على طبيعة العلاقة بين الماء والعمران في بلاد المغرب الأوسط، ثم نتناول أهمية الماء في مختلف النشاطات البشرية، قبل أن نناقش العقبات والمشاكل التي تعترض حسن استغلاله في هذه المنطقة الحيوية من العالم الإسلامي.

ا.الماء والعمارة في بلاد المغرب الاوسط

تتفق جميع الدراسات التاريخية على أن الماء هو العنصر الحيوي الأول في نشوء العمران وتطوره عبر العصور، إذ لم يكن مجرد مورد طبيعي ضروري للحياة بل كان موردا أساسيا لموضع المدن ونموها وتوزيع منشآتها ولعل من أولى شروط إنشاء المدن سعة مياهها[1]، وهذا ما يؤكده ابن أبي زرع أن من أفضل المواقع ما اجتمع فيه النهر الجاري والهواء الطيب والتربة الخصبة وكثرة الأخشاب حيث قدم الماء لأهميته في بناء المدن[2] وقد أدى هذا الترابط إلى نشوء انماط عمرانية ميزت العديد من حواضر المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط لعبت دورا حضاريا بارزا نظرا لموقعها الاستراتيجي وتنوع مواردها الطبيعية.

[1] ابن أبي الربيع، سلوك المالك في تدبير الممالك: تح عارف أحمد عبد الغني دط، دار الكتابة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996م، ص105.

[2] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 33.

1.مدينة تهرت

يشير ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان أن "تاهرت" مدينة تاريخية بارزة حيث تلفظ بفتح التاء والهاء مع سكون الراء، تتألف تاهرت من مدينتين متقابلتين تقعان في أقصى المغرب إحداهما تعرف بتاهرت القديمة بينما الأخرى بتاهرت الحديثة[1].

عند دراسة الأسباب التي دفعت عيد الرحمن ابن رستم وأتباعه إلى تشييد تيهرت الجديدة يتضح أن ذلك لم يكن محض رغبة فردية بل كان هناك دافع حضاري استند إلى مقومات جغرافية استراتيجية من أهمها وجود مياه وفيرة وهو عنصر أساسي لضمان استدامة العمران فيها واستقطاب السكان حيث يجري على شرقها "نهر منية" وهو واد غزير الجريان في الشتاء ساهم في توفير المياه لساكنتها ولزراعة بساتينها[2] وبناء أحياء عمرانية أكثر تكامل[3]. وقد بنى حكام" تيهرت" خزانات للماء وأحواض كبيرة بحيث تحافظ على المياه في ايام الصيف وخلال فترات الجفاف[4].

ساعدت وفرة الماء في بناء المساجد في أنحائها لتأدية دورها الاجتماعي والديني[5]، كما لعبت دورًا في جذب السكان إلى المنطقة مما أسهم في تنشيط الحركة التجارية حولها حيث ذكر صاحب الاستبصار[6] أن المساكن شيدت بالقرب من المسجد لضمان الأمن مما أدى إلى توسع العمران من قصور وبيوت وأسواق[7].

---

[1] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، صذ07.

[2] البكري، المصدر السابق، ص 86

[3] جاز ابراهيم بكير، المرجع السابق، ص 88.

[4] ابراهيم بحاز، الدولة الرستمية (160-296 هـ/ 777-909 م) دراسة في الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، نشر جمعية التراث، ط1، ط 2، دب، 1406، ص 155.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 86.

[6] مجهول الاستبصار، المصدر السابق، ص.

[7] مالكي نور الدين، الماء ودوره في تفعيل موطن الاستقرار ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الرابع والتاسع 4-9ه، مذكرة ماستر، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر 2022/2021، ص 63.

كما ذكر ابن الصغير أن المنطقة شهدت خلال عهد الامام أفلح تطورا عمرانيا ملحوظا، حيث ازدهرت المدن وامتدت عمارتها بشكل واسع، فقد بلغ اهتمامه بتطوير إمارته وأنه لم يترك قرية أو بلدة بدون إعمار ما مكنه من تعزيز البنية التحتية والعمرانية بشكل كبير[1].

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على ارتباطا الماء بالتعمير فحينما وجدت مصادر المياها ازدهرت المدن وتوسعت التجمعات السكانية.

2 . قلعة بني حماد

تعد قلعة بنيا حماد من المواقع التاريخية الهامة وقد أدرجت ضمن قائمة التراث العالمي منذ عام 1980 تقع على بعد 36 كيلومتر شمال شرق مدينة المسيلة وعلى مسافة 185 كيلومترا من العاصمة الجزائر وتمتد على طول 104 كيلومترا باتجاه مدينة بجاية بعرض متغير يصل إلى 36 كيلومتراً[2]، أسسها حماد بن باكينا بن زيري سنة 398هـ / 1007م، وتعد من اوائل الإنجازات المعمارية والحضارية التي ارتبطت باسمه[3].

يذكر الحميري ان منطقة المسيلة ككل غنية بالموارد المائية اذ يشير الى "نهر شهر" الذي يعد من الانهار الرئيسية التي تشق المدينة[4]. ويتسم الموقع الجغرافي لقلعة بني حماد بأهمية استراتيجية بارزة كما ورد في العديد من المصادر التاريخية، فقد أنشئت القلعة شرق "**وادي فرج**" الذي يتجه من الشمال نحو الجنوب[5]، فوق سهل منبسط على السفح الجنوبي لجبل تاقرستة على ارتفاع يبلغ حوالي 1481 مترا، متموضعة على الحدود الشمالية لسهل الحضنة. ويذكر ابن خلدون في سياق حديثه عن نشأة المدينة أن حماد احتط مدينة القلعة في عام 398 وبنى

[1] إبن الصغير، المصدر السابق ص 52.

[2] عبد الكريم عزوق، (قلعة بني حماد في ذاكرة التاريخ)، جامعة الجزائر2، مجلة الدراسات الأثرية، المجلد 22، العدد01، 2024، ص 52.

[3] محمد لخصر عولمي، (إسهامات قلعة بني حماد في العمارة والفن بالغرب الإسلامي، جامعة 8 ماي 1945-قالمة)، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 07، العدد 02 ماي 2023، ص 166.

[4] الحميري المصدر السابق ص 558

[5] عبد الكريم عزوق، المرجع السابق، ص 294.

بها قصرًا شامخا على قمة جبل بارتفاع 1000 متر وقد شيدت مباني المدينة وأسوارها واشتملت على عدد من المساجد والفنادق والمرافق المعمارية التي أسهمت في ازدهارها[1].

3.مدينة بجاية

تقع مدينة بجاية على خط طول 2° و45' شرقًا ودائرة عرض 36° و45' شمالاً، تتمركز عند سفوح جبل قورايا وتمتاز بموقع جغرافي استراتيجي حيث تحتل مكانة طبيعية متميزة بإطلالة ساحلية[2]، لمدينة بجاية أهمية تاريخية وحضارية كبيرة فقد نالت من وصفها لها عدة مؤرخين من بينهم البكري حيث ذكر في كتابه المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب عنها قائلا: "ثم مرسى بجاية أزلية أهلة عامرة بأهل الأندلس، بشرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة وهو مرسى مأمون"[3].

يوضح موقعها الجغرافي المتميز بين الجبال والسهول أنها كانت تحتوي على موارد مائية متنوعة ويذكر الإدريسي ان مدينة "بيجاية" اسست بالقرب من (وادي الكبير)[4]، ويؤكده صاحب الاستبصار في قوله "مدينة بيجاية كثيرة الفواكه والأثمار..... تسقيه أنهار وعيون"[5] هذا التنوع في مصادر الماء ساهم في تطورها عمرانيا وسياسيا حيث وصفها الإدريسي انها كانت بمثابة مركز السلطة والاقتصاد لبني حماد، ومركزاً لخزائن الدولة[6]

ومن بين معالمها البارزة المساجد القديمة مثل الجامع الأعظم ومسجد النطاعين، كما أفادنا الدكتور بوروبية رشيد في ذكره لوصف المؤرخ قيروقي للمسجد الأعظم أن طول هذا المسجد حوالي 220 ذراعاً وعرضه 150

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص 350.

[2] فؤاد بوزيد، (المدن الجزائرية خلال العصر الوسيط تاريخ وأثار مدينة بجاية أنموذجا)، جامعة 08 ماي 1945، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعة، المجلد09، العدد 01 - 2025 - ص 206.

[3] البكري، المصدر السابق، ص 82.

[4] الإدريسي أبو عبد الله بن محمد، المصدر السالبق، ص129.

[5] مجهول الاستبصار، المصدر السابق، ص 130

[6] الإدريسي، المصدر السابق، ص 161

ذراعا يحتوي على بناء قوي وجدران مرصعة بالرخام ويحتوي على 22 بابا آخر، أحدها يؤدي إلى مصلى خاص بالنساء[1].

أما ابن خلدون "...احتط به المدينة وسماها الناصرية، وتسمى عند الناس باسم القبيلة وهي بجاية، وبني بها قصر اللؤلؤة وكان من أعجب قصور الدنيا"[2]، وهذا ما يدل على الازدهار العمراني الذي شهدته في بناء القصور بفضل وفرة مياهها.

وفي عهد الحماديون كانوا يحرصون على بناء مدنهم في مواقع يتوفر فيها منابع طبيعية إضافة إلى وجود أنهار داخلها وهذا لتوفير مياه وضمان وصولها داخل المنازل[3]، وهذا يدل على ارتباط الماء بالعمران حيث كان التخطيط العمراني يعتمد على المياه كشرط رئيسي لضمان استمرارية السكن والنمو داخل المدينة.

4. مدينة تلمسان

تعد تلمسان واحدة من أبرز حواضر المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، كلمة "تلمسان" هي في الأصل مركبة من "تلم" و"شان" وتعني "تلم شان" أي مكان التقاء الطرق ومع مرور الزمن تم استبدال الشين بالسين وأصبحت تلمسان، تقع المدينة في شمال غرب الجزائر وكانت تعرف باسم "تافرست" في العهد الأمازيغي[4].

من الناحية التاريخية، لعبت وفرة المياه دورًا محوريًا في جعل تلمسان مركزًا حضريًا مزدهرًا، حيث أصبحت المدينة ملتقى طرق تجارية ومركزًا ثقافيًا وعلميًا. ويعتبر "نهر سطفسيف"[5] الذي يمر بها مثالا على كيفية اعتماد المدن التاريخية على الموارد المائية لتأمين استقرارها ونموها.

---

[1] بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1976، ص208.

[2] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 226

[3] عبد الحليم عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر : 1991 ص 275.

[4] لسان الدين محمد الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاضد والديار، تح محمد كمال شبانة، دط، المغرب 1976، ص184.

يصف البكري تلمسان بأنها مدينة مسورة محاطة بجدران وأبواب وهي تقع في سفح جبل شجرة الجوز وتحتوي على خمسة أبواب، ويشير إلى مصدر أخر وهو العيون التي كان يتم جلبها إلى المدينة، (عيون لوريط) وهي عيون مياه تقع بين تلمسان والمدينة على مسافة 6 أميال أي ما يعادل حوالي عشرة كيلومترات تقريبا كانت تستخدم لتزويد المدينة بالمياه العذبة[1].

استفادت مدينة تلمسان من حكم المرابطين والموحدين إذ جعلها موقعها الجغرافي مركزا هاما مما منحها مكانة متميزة في المغرب الأوسط وقد ساهم ذلك في تطورها في مختلف المجالات خاصة العمران في ربطها الوثيق بأسرة بني زيان التي تولت قيادة المدينة والمغرب الأوسط بعد الموحدين[2].

وما يشير إلى ازدهارها العمراني وارتباطه بالماء انه عندما تولى آل زيان الحكم جعلوا من تلمسان مقرا لملكهم وعاصمة لسلطنتهم فشيدوا فيها القصور الفخمة والمباني التي كانت لا تكاد تخلو من الآبار، نتيجة قرب الماء من سطح الأرض، وسهولة حفر البئر[3]. وزرعوا الحدائق وشقوا قنوات الماء فغدت تلمسان من أعظم حواضر المغرب وأكثرها ازدهارا ومكانا يقصده الناس من شتى الأقطار[4]. ويذكر في هذا السياق ان ملوك بني زيان في تلمسان بنوا صحون القصور وكانت تتوسطها برك مائية، وكثفوا من غرس الاشجار في بساتينها وتنوعت مظاهر الفنون الزخرفية التي زينوا بها مقوماتها العمرانية[5].

---

[5] الحميري، المصدر السابق، ص 135

[1] البكري، المصدر نفسه، ص 76

[2] فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني دراسة سياسية، عمرانية، واجتماعية، ثقافية، دط، موغم للنشر والتوزيع، الجزائر 2007 ج 1 ص 98.

[3] هنان جلالي، المرجع السابق، ص 68

[4] هو شمونس محمد (التاريخ السياسي العمراني لمدينة تلمسان في العصر الوسيط)، جامعة محمد بوضياف المسيلة، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 10 ديسمبر 2018، ص104.

[5] البشير بوقاعدة، استثمار الماء في الحياة الترفيهية الاستجمامية بجزائر العصر الوسيط، الملتقى الوطني :تاريخ الماء في الجزائر،جامعة تيارت، 30 أفريل 2024، ص 01.

كما تفرد السلطان أبو تاشفين بتجربة جلب الماء من المرتفعات والمنابع الجنوبية للمدينة، وتخزينها في خزان ضخم بناه غرب تلمسان، بالقرب من باب كشوت، استخدم لري الحقول والبساتين. [1]

2.طرق تخزين المياه في بلاد المغرب الأوسط:

1.2.السدود

تعتبر السدود عنصرا أساسيا في شبكة مياه الري لما لها من منفعة كبيرة من خلال تزويد المناطق المجاورة بالماء خاصة في فصل الصيف فتستعمل لصرف ماء الوادي من الجهة السفلى إلى الناحية الأكثر ارتفاعا[2]، بحيث كانت تملأ بواسطة قنوات مدفونة تحت سطح الأرض أو بشق مصارف وجداول متصلة بالأنهار والأودية والينابيع، وكان يرتفع منسوب المياه بها خاصة في فصل الشتاء[3].

ولعبت السدود دورا في الحد من الفيضانات ولهذا وجدت سدود للتخزين وسدود للتحويل كم استعملت في تحريك الطاحونات والارحاء حسب حديث كتب الجغرافيا عن مستغانم وقرب مدينة الجزائر[4].

2.2.المساقي

وهي أماكن مخصصة لتجميع المياه بحيث تعد هذه المياه مشتركة بين عدة أطراف بعد جمع المياه في موقع واحد يتم توزيعها على كل طرف بحسب نصيبه، ويفضل أن تكون الارض مستوية لتجنب انحدار المياه نحو طرف دون أخر، مما قد يؤديا إلى الغبن ولهذا السبب تعتبر هذه الطريقة مناسبة للأراضي المستوية والمعمرة

---

[1] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية عمرانية اجتماعية ثقافية)، ج 1، موقم للنشر والتوزيع، دط، الجزائر، 2002، ص125.

[2] محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، يناير 2004، ص106.

[3] عمیار خلیل، غرداوي نور الدین، (منشآت السقي وأهمیتها ببلاد المغرب في القرن 9ه/15م من خلال النوازل)، مجلة العبر للدراسات التاریخیة في شمال إفریقیا، المجلد 04، العدد 02، ستمبر 2021، ص 365.

[4] عبد المالك بكاي، الحياة الريفية في المغرب الأوسط من القرن 7-10ه/13-16م، شهادة الدكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 1434-1435/2013-2014، ص218-219

وتخضع هذه الاماكن لعدة أحكام منها حفر حفرة مخصصة لتجميع المياه عدم وضع أي شيء يمنع جريان الماء، وضرورة التزام المالكين بصيانتها وإصلاحها مثل إزالة الحشائش والحفاظ على مسارات المياه التي تغذيها[1].

3.2.الصهاريج والبرك

الصهاريج عبارة عن أحواض مصنوعة من أحجار معينة مضاف إليها مواد أخرى، ويتم تخزين المياه التي تدخل المدينة عبر القنوات في حوضين كبيرين ويوزع منهما إلى أحواض صغيرة[2]. ومن أمثلتها ما قام به السلطان ابو تاشفين حيث بنى صهريجا كبيرا غرب مدينة تلمسان بالقرب من باب كشوت، يبلغ طوله 200 متر وعرضه 100 متر وعمقه ثلاثة أمتار، وجلب اليه الماء من المرتفعات ومن المنابع التي تطل على المدينة من جهة الجنوب، فكانوا يستعملون الماء في سقي حقولهم وبساتينهم[3].كما اكتشف الأثريون في "تيهرت" خزانات للماء وهي أحواض كبيرة محكمة التصميم والهندسة[4].

أما البرك فكانت أحواضا سواء دائرية او مربعة او مستطيلة الشكل، المرتفعة او المخفضة عن سطح الارض[5]، والتي تعتبر من عناصر الجذب وبعث الراحة والاستجمام من أهم مكونات الحدائق بالجزائر في العصر الوسيط، وقد كانت من اهم مكونات قصور ملوك بنو زيان استعملوها في ري الحدائق[6].

---

[1] دحماني بلقاسم، سماتي إبراهيم، العمارة المائية وتنظيمها من خلال كتب فقه كتاب القسمة وأصول الأرضين (سهل واد مزاب)، تاريخ الماء في الجزائر، 30 أفريل 2024، ص 6-7.

[2] دونالد رهيل، العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، تح أحمد فؤاد باشا، دار عالم المعرفة، دط، الكويت، يناير 1978، ص 242

[3] عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص125.

[4] ابراهيم بحاز، الدولة الرستمية (160-296 ه/ 777-909 م) دراسة في الاوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، نشر جمعية التراث، ط1، ط 2، دب، 1406، ص 155.

[5] بودالية تواتية، الحديقة الاندلسية، مجلة العصور، العدد 24 25، جانفي ،جوان، 2015، ص66.

[6] البشير بوقاعدة، مرجع سابق، ص 01.

4.2.المواجل

كانت المواجل مستديرة القاعدة، وضيقة الفم تشبه القارورة، ويكون حفرها بشكل أسطوانة تبدأ بالاتساع شيئاً فشيئاً باتجاه القاعدة، وبعمق لا يتجاوز 5 أمتار في الغالب، ويتراوح قطرها ما بين 3 و5 أمتار[1].

ولقد كانت مياه الأمطار تخزن بمختلف الأساليب، ومنها تحويل مياه السيول عن طريق السواقي، أو إحداث مجاري مائية في سطوح منازلهم، أو جلب المياه في قواديس، أو سواقي من أنهار وعيون إلى مختلف المناطق، ومن أمثلة ذلك "سطفسيف" الذي كان يصب في بركة عظيمة، ثم ينبثق من تلك البركة بحكمة مديرة إلى موضع يسمى المهزاز، فيسقي هناك المزارع وأولاج كثيرة تسمى الجنان وتلك المواضع من أجل تلك البلاد[2].

5.2. الفقارة:

القناة أو الخطارة أو الفلج، كل هذه التقنيات لديها نفس الوظيفة احتجاز الماء عن طريق الأروقة (مجاري مائية) مع آبار للتهوية، لكن منبع الماء يختلف من طريقة لأخرى، القناة والخطارة تحتجز المياه الجوفية في أسفل الجبل، بينما جزء من الفلج يحتجز ماء المنبع والقسم الآخر منه يحتجز ماء الوديان، في الجزائر عند ذكر الفقارة نقصد تلقائيا فقارة توات (أدرار) التي تحتجز المياه الجوفية[3]، ولقد ارتبطت الفقارة في حياة المجتمع التواتي بمعظم العادات والتقاليد المعروفة، فإذا حل الإنسان بقصر ما جيء له بماء فقارة ليعاود المجيء إلى القصر، لأنه عندهم من شرب من ماء الفقارة عاد إليها[4].

---

[1] سليم حاج سعد، محمد بن عيسى، (مصادر المياه ووسائل الريء وأماكن التخزين في المغرب الأوسط ما بين القرنين الثاني والسادس الهجريين، الثاني والثالث عشر ميلاديين)، مجلة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مجلد 03، العدد 01، جوان 2019، ص 108.

[2] سكبتة عميور، المرجع السابق، ص 112

[3] صباح بعارسية، نظام الفقارة ودوره في استقرار السكان بالصحراء الجزائرية إقليم توات، جامعة الجلالي بونعامة، خميس مليانة، ص 642

[4] أحمد جعفري، نظام الفقارة وآلية توزيع الماء في منطقة توات ولاية أدرار وأثاره على مختلف التحولات الاجتماعية لسكان الإقليم، العدد 1، 2007, ص 125

II. اهمية الماء في النشاطات البشرية

يعد المناخ عاملاً أساسيا في التحكم بجريان المياه وهو كذلك مرتبط بالتباين في التضاريس فبفعل تنوع المناخ واختلاف التضاريس اختلف توزيع المياه في منطقة المغرب الأوسط من حيث وفرتها أو من حيث أنواعها كعيون وأنهار أو من حيث مصادرها مثل الآبار[1].وتعد هذه العوامل مجتمعة مؤثرة في تحديد تقنيات استخدام المياه لتنمية النشاط البشري اوحتى في الاستخدامات اليومية كمياه الشرب[2].

1.استعمالات الماء المنزلية:

اعتمد السكان في المغرب الأوسط على مصادر متنوعة لمياه الشرب من عيون وأنهار وأبار وغيره وهذا ما ذكره أغلب الرحالة والجغرافيين فتجد الأنهار التي لا يستطيع أحد امتلاكها تسع للشرب ولا يستند ما فيها ضرورة أو حاجة ملحة ويحق لكل الناس الإستفادة منها ويسمح لمن تمر هذه الأنهار في أرضه أن يشرب ويستفيد منها[3] استفادت عدة مدن من الشرب من الأنهار، عليا غاية (خنشلة حاليا) مياه جارية تأتي من وادٍ من جهة القبلة يشرب منه السكان[4]، أما بسكرة فيشق غابتها نهر كبير ينحدر من جبل أوراس يسقي بساتينها وهو غزير المياه ومنه شرب أهلها[5]، ومدينة تيهرت هي الأخرى شرب أهلها من نهر يسمى مينة[6].

تشير كتب الفقه إلى الطريقة التي كانت تستخدم لنقل مياه الأنهار من خلال السواقي والسدود ورغم أن هذه الكتب توفر معلومات ذات طابع ديني إلا أننا لا نجد لها مثيلا في المصادر الأخرى فقد كان لطبيعة التضاريس

---

[1] عمیور سكينة، ريف المغرب الأوسط في القرنين 5و6ه/11و 12م دراسة اقتصادية واجتماعية، مذكرة ماجستير قسنطنية 2الجزائر 2012 - 2013، ص89.

[2] علي عشي، المرجع السابق ص 571.

[3] الماوردي الأحكام السلطانية والولايات الدينية لديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1983 ص 225.

[4] ابن حوقل، المصدر السابق ص 85.

[5] مجهول الاستبصار، المصدر السابق ص173.

[6] البكري: المصدر السابق ص 228 - 229

وانحدار الأرض وقرب أو بعد الحقول دور كبير في تحديد أماكن إعادة السدود وحفر القنوات المائية[1] لتوفير مياه الشرب .

أما المصدر الثاني المتمثل في العيون التي تنتشر بشكل كبير في المناطق الجبلية وهي مرتبطة بهطول الأمطار حين يزداد منسوب مياهها في فصل الصيف نتيجه لتسرب مياه الأمطار وتقل في أشهر الجفاف مثل ديسمبر وتعتمد عليها في تزويد السكان بمياه الشرب[2].فالمسيلة تحتوي على العديد من العيون التي كانت مصدرا مهما للشرب[3]، أما دار ملول شربهم من ماء عيون بها جارية[4]أوزقور هي أخرى بها عين ذات مياه باردة مما يدل على أنها كانت مصدر شرب للأهالي[5].

أما المصدر الثالث المتمثل في الآبار التي كانت تشكل مصدرا أساسيا للماء في العديد من المناطق التي لم تكن تستفيد من مياه الأنهار أو العيون ويبدو أن استغلال هذه الآبار لم يكن يتطلب جهدا بشريا كبيرا كما هو الحال في إنشاء السواقي أو السدود[6].

ولعل عدم انتظام الأمطار هو الذي أدى إلى لجوء بعض سكان المناطق الجبلية الى استخدام تقنيات خاصة لجمع مياه الأمطار فقد اعتمدوا على طرق مبتكرة لتجميع مياه الأمطار بهدف تخزينها واستخدامها في ظل قلة الأمطار أو تأخرها مثل بناء صهاريج صخرية كما كانت المياه تجمع في الأحواض والقواديس لغرض إستهلاكها[7].

---

[1] علي عشي، المرجع السابق ص 572

[2] علوش وسيلة، المرجع السابق، ص 40

[3] الحميري، المصدر السابق، ما 130.

[4] الإدرسي، المصدر السابق، ص264.

[5] البكري، المصدر السابق، ص 65.

[6] علي عشي، المرجع السابق، ص572.

[7] علي عشي، المرجع نفسه، ص572.

2. استغلال الماء في الزراعة

يتبين من خلال النوازل والفتاوى أن مصادر السقي في بلاد المغرب تنوعت بين مياه الأمطار والأنهار والعيون والآبار، وقد تميز نظام الري خاصة في المغرب الأوسط بالدقة والتنظيم، حيث كان الفلاحون يتعاونون في سقي أراضيهم فيما بينهم، وقد كانت السهول تتمتع بنظام الري المنتظم يتم فيه توزيع مياه العيون والجداول على الحقول والبساتين بشكل عادل، حيث تبدأ عملية السقي من الأراضي العليا نحو السفلى، بسقي كل فلاح أرضه ثم يطلق المياه لمن بعده، ويتكرر هذا السقي كل أسبوع طيلة فصلي الصيف والخريف[1].

ويذكر الونشريسي أن أهل المغرب عرفوا نظام المناوبة أو النوبة في ري أراضيهم، مما كان يجنبهم المنازعات التي يمكن أن تثار فيما بينهم، فيشير إلى أن أحد سكان المناطق كانوا يمتلكون عين ماء يقسمونه إلى خمسة سواقي بينهم على السواء، والتزموا أن يكون السقي في كل ساقية منها على نوب معلوم، يأخذه الأعلى فالأعلى من كل ساقية[2].

1.2. تقنيات الري الزراعي في المغرب الأوسط

أ.الدالية

هي عبارة عن جذع طويل يركب في الأرض في رأسه مغرفة يغرف بها الماء، ويعرفها جودت عبد الكريم بأنها "السانية ذات الرحى التي تدور عليها الدلاء الصغار والكيزان" وقد كان سوق كرام له "مزارع وسوان"، وكانت بنو واريغن لها كروم وسوان كثيرة، وكذلك مدينة الخضراء لها فواكه وسوان ويبدو أن ملكيتها كانت خاصة[3].

---

[1] الحاج محمد بن رمضان شاوش، ياقة السوسان في التعريف بحضارة تلمسان عاصمة دولة بني زيان (جغرافيا -تاريخيا -فنيا -معماريا)، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، دب، 2011، ث 34

[2] كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة الشباب الجامعة، دط، الإسكندرية، 1997، ص ص 59-60

[3] جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين (3-4) (9-10)، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، الجزائر، ص 60

ب.الناعورة

عجلة أو دولاب مثبت على قضيب يرتكز على قائمتين ويدار بواسطة الحيوانات أو تيار النهر[1]، وتحمل الناعورة كيزان لرفع الماء عددها للناعورة الكاملة ثمانون كوزا، يسع كل منها خمسة عشر رطلا الرحل يساوي 7.65 لترا، ويمكن أن تروي الناعورة 3500، 4000 جريبا من غلات الشتاء أو 80 جريبا[2].

ج. الشادوف

دلو اللطيف مثل دلو الدالية يحتاج الى اربعة عمال لتشغيله، ويمكن به سقي اربعة اجرية في اليوم، وكان اهل الجنوب التونسي يستعملونه للري ويطلقون عليه اسم غراغير، ويطلق عليه المصريون شادوف، وقد كان استعماله محصورا في بعض مناطق الجنوب ذات الطبقات المائية قليلة العمق، وربما ايضا في منطقة الاوراس[3].

د. الدولاب

عجلة أصغر من الناعورة تعمل بحيوان واحد ويمكن ان تروي سبعين جريبا من الغلات الشتوية وثلاثين جريبا من غلات الصيف[4]، واشار البكري ان الماء في المهدية يرفع من الصهاريج الى القصر بالدواليب، وكذلك تسقى من الابار ويصب في محبس يجري منه الماء في تلك القناة[5].

هـ. الدلو

كان الماء يرفع من البئر بواسطة دلو من الجلد يربط بحبل ثم يدلى في البئر فإذا امتلأ رفع، وقد يقوم بهذه العملية الإنسان أو الحيوان وفي هذه الحالة يستعان بالبكرة[6].

---

[1] جودت عبد الكريم، المرجع نفسه، ص 63.

[2] عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 1948, ط2، 1974، ط3، 1995، ص 73

[3] روجر بارشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 الى نهاية القرن 15، تح حمادي الساحلي، ج 2، دار الغرب الاسلامي، ط 1، 1988، بيروت لبنان، ص 219.

[4] صالح محمد قياض، الزراعة والتضيع الزراعي في المغرب منذ القرن السادس هجري، مجلد 13، العدد 7، الاردن، 1998، ص 113.

[5] البكري، المصدر السابق، ص 30

و. الساقية:

هي مجرى كبير ينقل كميات كبيرة من المياه الصالحة للشرب إلى المدن، تتغذى السواقي بمياه الأنهار أو الجداول عبر سدود صغيرة، واشتهرت الساقية في عرف الناس كأداة يستعمل فيها الحيوان لرفع المياه من أجل سقي الأراضي، واستعمال الساقية في معناها العربي المشهور بالناعورة والدولاب، وكانت الناعورة تلعب دورا أساسيا في ري الأرض كما أسند للقناة في استعمال القديم، لأن الناعورة تصب في القناة التي هي الساقية[1].

3.الماء والنشاط الصناعي في بلاد المغرب الأوسط

شهد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط ازدهارا اقتصاديًا ملحوظا شمل مختلف الميادين من بينها الصناعة، وكان توفر الموارد المائية عامل حاسما في تحقيق هذا الازدهار فقد تنوعت مصادر المياه في المنطقة من أنهار وعيون وآبار[2]، كما عرف المغرب الأوسط عدة مراكز صناعية مزدهرة في مختلف المدن ومن هذا المنطلق سوف نركز على ذكر أهم هذه الصناعات:

1.3.الصناعة النسيجية

كانت صناعة النسيج من الصناعات الأساسية في العصر الوسيط وذلك نظرا لحاجة الناس إليها باختلاف طبقاتهم ومكانتهم الاجتماعية ولكل فئة نوع خاص من الأقمشة يميزها واشتهرت بلاد المغرب في صناعة النسيج بسبب وفرة المادة الخام خاصة الصوفية منها[3].

---

[6] روبار بارشفيك، المرجع السابق، ص 219.

[1] ضيف الله عيسى، أدوات وتقنيات الري ببلاد المغرب في العصر الوسيط تاريخ الماء في الجزائر، جامعة يحيا فارس، المدية، 30 أفريل 2024، ص 5

[2] سليم حاج سعد المصادر، (مصادر المياه ووسائل الري وأماكن التخزين في المغرب الأوسط ما بين القرين الثاني والسادس الهجريين الثامن والثاني عشر الميلاديين، جامعة لونيسيا البليدة)، المجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 3، العدد1، جوان 2019، ص96.

[3] جودت عبد الكريم، المصدر السابق، ص 90.89.

تشكل الصناعات النسيجية الصوفية مظهرا بارزا من مظاهر النشاط الاقتصادي حيث تتجلى في إنتاج البرانس والبرد والمعالم والأكسية والحياك ويعزى ازدهار هذا النوع من الصناعة إلى وفرة الأصواف وتوفر الأيدي العاملة فضلا عن الموقع الجغرافي الملائم الذي يشير إلى توفر النقل المائي سواء عبر الأودية أو الانهار[1]، عرفت مختلف مدن المغرب الأوسط بالصناعة النسيجية حيث أشار ابن الصغير إلى وجود أكسية الصوف في تيهرت وهي لا شك من إنتاج محلي، إضافة إلى ذلك اشتهرت المدينة بصناعة الخز وهو نسيج يُحاك من الصوف والحرير ويُعد من أرقد الصناعات النسيجية[2]، أما القلعة عرفت نسيج العمامة بمهارة ويأخذ الصانع مقابل كل عمامة يصنعها مائة دينار أو أكثر[3].

يذكر عبد الرحمن ابن خلدون أن تلمسان اشتهرت بهذا المجال حيث أن معظم أهلها يعملون في الفلاحة وتحريك الصوف ويساهمون بشكل جماعي في صناعة الأثواب والكساء والبرنس أواق وأحرام[4]، أما الزهري فيقول عنها " وهي دار مملكة يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المحررات والابدان وأحاريم الصوف والسفاسير والحنابل المكللة وغير ذلك"[5].

وميلة أصبحت مركزا لصناعة النسيج وخاصة صناعة الصوف بفضل وفرة المياه فيها الذي يستخدم في إنتاج أغطية الأسرة وهي مهنة يمارسها غالبية السكان[6].

---

[1] محمد قويسم، (الصناعة النسيجية في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط)، جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة الجزائر)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 07 العدد 02 أكتوبر 2021، ص 98.

[2] ابن الصغير، المصدر السابق من 36.

[3] مجهول الاستبصار، المصدر السابق،ص 142.

[4] جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص96.

[5] الزهري، الجغرافية، تح محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، ص.113

[6] الوزان حسنا، وصف إفريقيا، تح، محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان 1983، ج2، ص 60.

2.3. الصناعة الفخارية

اعتمد سكان بلاد المغرب الأوسط بشكل كبير على الأدوات الفخارية في تلبية حاجياتهم المنزلية اليومية فقد صنعوا القلا واشتهروا في هذا المجال باستخدام القناديل وابتكروا الكؤوس والكزان والصحون والأطباق كما أبدعوا في صناعة الكواتين والقدور وكان الدافع لصناعة هذه الأواني الفخارية هو الحاجة إلى وسائل لحفظ الطعام وغيره[1].

شهدت العديد من المناطق الصناعية نشاطا بارزا في مجال صناعة الفخار والخزف منذ بداية القرن 5هـ خلال العصر الحمادي لعب موقع القلعة دورا مهما في ازدهار هذه الصناعة نظرا لطبيعة أرضها الغنية وتوفر المياه إضافة إلى الظروف الجيولوجية تركيبة التربة حيث أسهمت كل هذه العوامل في نشوء صناعات فخارية متميزة بالمنطقة و مايدعم ذلك وجود أفران خارج أسوار المدينة واستعمل الفخار بأنواعه لتزيين المباني ، وكانت تنتج بأنواع مختلفة داخل الورش كما استعملت الأفران لجلب المياه عبر الأسواق و القنوات العلوية مما يدل على تطور ملحوظ في تقنيات الحرفة آنذاك[2].

وكما وجد في تهرت عدد من المدافن وكسور من الفخار ويرجح أنها كانت جرات واوان فخارية أخرى مما يشير إلى وجود قطع فخارية مختلفة من بينها قطعة مصنوعة من طين أبيض وخزف نقي مطلي بطبقة زجاجية بيضاء وقد زينت هذه القطعة بخطوط موزونة ومستقيمة تم رسمها بدقة ويعتقد أن هذه القطعة كانت جزءا من جرة، كما تم العثور على قطعة من صحون وأغطية[3].

---

[1] جودت عبد الكريم المرجع السابق، ص 118.

[2] جديد عبد الرحيم، (النماذج من حرف وصنائع البناء والعمارة بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط عصر الدولتين (الحمادية والزيانية))، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 5، جامعة عبد الكريم مهري قسنطينة02، سبتمبر 2017 ص156.

[3] جودت عبد عبد الكريم، المرجع السابق، من 118.

– إشتهرت مدينة ندرومة القريبة من تلمسان بهذه الصناعة حيث كانت تضم ثمانية مصانع وثلاثة أفران لتجفيف المنتجات، وكان كل مصنع ينتج نحو خمسين قطعة فخارية أسبوعيًا، مع العلم أن هذه المصانع لا تعمل خلال عطلة نهاية الأسبوع وفي فصل الشتاء.

كما انتشرت هذه الحرفة في مناطق أخرى حيث تنوع إنتاجها بين أدوات فخارية وزخرفية وقد لعبت الخصائص الطبيعية دورا محوريا في تطورها، خصوصا نوعية التربة والمياه المستخدمة فيا العجينة[1].

3.3. صناعة الأرحية

يعد طحن الحبوب من أقدم وأهم الصناعات الغذائية التي عرفها الإنسان حيث سعي منذ العصور القديمة إلا الاستفادة من قوة المياة المتساقطة لتحريك أحجار الطاحونة لطحن الحبوب وصناعة الدقيق من القمح والشعير وغيرها من المواد الغذائية الضرورية وتعددت أنواع الطواحين أهمها الطواحين المائية التي تقام عادة على ضفاف الأنهار للحصول على الطاقة اللازمة من مجرى مائي طبيعي أو صناعي[2].

حيث شرع أهل تهرت منذ عهد الإمام عبد الرحمن ابن رستم في اتخاذ الرحى ويبدو أنها كانت مجمعة في موضع واحد يؤدي إلى أبواب المدينة حتى أطلق عليها باب المطاحن[3].

ومدينة تلمسان هي الأخرى احتوت على العديد من الأرحية وعلى بعد نحو ثلاثة أميال شرق المدينة ترى عدة أرحية لطحن القمح على نقد يدعى سفيسف، وترى أخرى قرب المدينة على منحدرات رأس القلعة إلى جهة الجنوب.

---

[1] رفيق شلابي، (الحرف والضاعات في مدينة تلمسان وضواحيها خلال العهد العثماني 1830-1555م)) ، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الانسانية والإجتماعية، جامعة معسكر، مجلد 13 عدد1 جانفي 2021، ص833.

[2] عطار محمد (الأرحية المائية بتلمسان)، مجلة الفكر المتوسطي، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، المجلد 10، العدد 02، ص 209 .

[3] جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 106-107.

ويعيد المقدسي أن الأرجية كانت توضع على أفواه الأنهار فإذا خرج الماء أدارها وهذا يكون ممكننا إذا كان جريان الماء يساعد على ذلك وإن لم يكن فإن الناس يرفعون منسوب المياه ثم يدعونها تتساقط كالشلالات فقوة التساقط تعمل على إدارة العجلة.

III.العقبات والمشاكل المرتبطة باستغلال المياه في بلاد المغرب الأوسط

يعد المغرب الأوسط من المناطق التي شهدت عبر تاريخها اضطرابات متعددة على مستوى التزويد بالمياه، نتيجة تداخل عوامل طبيعية وبشرية مثل الموقع الجغرافي والتضاريس والمناخ التي لعبت دورا حاسما في تشكيل مشهد مائي يتسم بعدم الانتظام والتفاوت في التوزيع الزمني والمكاني للموارد المائية.

1.العقبات الطبيعية

1.1. الجفاف والقحط:

كان الجفاف من الظواهر المألوفة في بلاد المغرب الأوسط، كان ينجم عن عدم تساقط الأمطار خلال موعدها المحدد إلا أن سنة واحد من الجفاف نادرا ما كانت تنجم عنها المجاعة[1]، فانحباس الامطار يؤدي إلى تراجع المحاصيل الزراعية، وبالتالي تتسبب في خلق أضرار وإنتشار المجاعات وغلاء الأسعار[2].

عرفت بلاد المغرب الأوسط فترات من الجفاف نتيجة انعدام سقوط الأمطار في بعض الأزمنة، فخلال القرن الثالث الهجري 9م. شهدت منطقة وارجان قحطا شديدا وجفافا وقلة المطر مما تسبب في خسائر كبيرة في القطاع الفلاحي وألحق أضرارا جسيمة بالسكان[3].

---

[1] خالد بلعربي، (المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698-845ه/1299-1442))، مجلة كان تاريخية، العدد 7، يونيو 2009.

[2] عبد العزيز محمد محمد، مشكلة المياه في الوطن العربي، شعبة التثقيف والتعبئة والاعلام، ط1، طرابلس، 1995، ص24.

[3] خالد بلعربي، الملكيات الزراعية وأثارها في المغرب الأوسط (160-962ه /777-1554م)، دار ألفا للوثائق، ط1، عمان - الاردن، 2020، ص 168.

وفي سنة 379 عمت بلاد المغرب كله جائحة تسببت في خسائر أصابت الزراعة وتتابعت المجاعات بسبب القحط[1] سنة 411هـ/1020م حيث ضربت تاهرت حتى سجلماسة فكثر الفساد في الناس[2]، كما أصاب قحط شديد تلمسان سنة 537ا وخلال القرن السابع الهجري (13م) أصاب بجاية جفوف عظيم وقلت المياه وجف أميسون[3]، وفي سنة 698هـ/1299م ضربت تلمسان عاصمة الدولة الزيانية مجاعة عظيمة بسبب الحصار الذي فرضته المدينيون على تلمسان[4].

ومن بين قرائن حدوث الجفاف هو لجوء الناس المتكرر لصلاة الاستسقاء وكانت من أولى الشعائر الدينية التي أداها السكان طلبا للمطر وكانت بمثابة حل لمشكلة القحط والجفاف[5]، كذلك استحضرت كتب التصوف لمشاركة في طلب الغيث في شكل قصص تزخر بكراماتهم في إنزال المطر فصاحب كتاب التشوق إلى رجال التصوف أورد قصصا في هذا الشأن التي يتحدث فيها الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الضماجي عن أبي العباس السبتي حيث يحكي أنه بينما كان جالسا مع جماعة من مريدي هذا التصوف إذ بجماعة من الصبيان يمرون عليهم مستغيثين طالبين للمطر[6].

---

[1] بلعربي خالد، المرجع السابق، ص 178.

[2] ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المغرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، دط، الرباط، المغرب 1973، ص118.

[3] أحمد بن أحمد بن عبد الله أبو العباس الفيريني،عنوان الدراسة فمن عرف من العلماء في الماسة السابعة ببجاية، تح وتع، عادل غويمص منشورات دار الأفاق الجديدة، ط02، بيروت، أبريل 1979، ص149

[4] سمية مزدور، المرجع السابق، ص133

[5] ادرييس بلعابد، (ذاكرة تدبير ندرة الماء و ترشيده ببلاد المغرب الأقصى بين العرف والضوابط الشرعية)، مجلة مدارات تاريخية، المجلد 03، العدد 02، جوان 2021 / ص 168.

[6] أبي يعقوب يوسف بن يحي التادلي ابن الزيات، التشوق إلى رجال التصوف و أخبار أبي العباس السبتي، تح: أحمد التوفيق منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط2، الدار البيضاء، 1997، ص 67.

2.1. الفيضانات

يرتبط الماء بعلاقة جدلية متجددة مع الإنسان منذ نشأة وجوده على سطح الأرض، وهذا لما له من دور محوري في استمرارية الحياة سواء بالنسبة للإنسان أو الكائنات الحية كافة، فعند وفرة المياه تظهر مقومات الحياة في حين أن ندرتها تؤدي إلى تفاقم الأزمات، أما في حال تجاوزها للحدود الطبيعية فقد تتحول إلى عوامل دمار لما قد تسببه من فيضانات تلف المحاصيل الزراعية والبنى التحتية[1].

تعد الفيضانات من الكوارث التي ارتبط حدوثها في بعض الفترات بكثرة تساقط الأمطار في المغرب الأوسط، مما تسبب في تهدم الجسور وانجراف التربة وغمر المساكن، لاسيما تلك المبنية بمواد غير مقاومة كالمساكن الطينية وغالبا ما تكون الفئات الأكثر ضررا أصحاب البيوت البسيطة وسكان الأرياف، من بين هذه الفيضانات المدمرة تلك التي وقعت على أبو القاسم الفاطمي سنة 315 هـ 927 م والتي استمرت فيها الأمطار شهرا كاملا، وتسببت في خسائر بشرية ومادية جسيمة[2] فرضت عليه الإقامة لمدة شهر في سوق إبراهيم وكتب القائم إلى المهدي مخبرا إياه "أنه أقام في مناخ واحد شهرا كاملا عليه المطر كل يوم بالغدو والآصال"[3].

وفي نفس السنة 315 هجري 927 ميلادي عندما رحل عبد الله بن خزر من القلعة إلى وادي السواني وأقام به فتتابعت العواصف والأنواء والأمطار وازداد الوحل فأطلق الناس على هذا الطقص اسم مناخ الوحل[4].

كما عرفت سنتي 342 هجري و378 ميلادي فيضانات مدمرة في المغرب الإسلامي خلفت آثار جسيمة على الإنسان والحيوان والنبات في سياق حديث بن زرع يوضح ذلك بقوله... "نزل أيضا برد عظيم لم يعهد

---

[1] علي عشي، المرجع السابق، ص 568.

[2] جودة يوسف، المرجع السابق، ص455.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ص 192.

[4] إدريس عماد الدين، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح محمد البعلومي، دار المغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص 218.

مثله، قتل المواشي وأهلك الثمار استسقى الناس في طعام السنة واستصحوا وجاءت السيول العظيمة بجميع المغرب"[1]،

تؤدي السيول والفيضانات الى إتلاف المحاصيل، وتمنع من الحراثة والبذر، وتلحق أضراراً بالأشجار المثمرة وتتسبب بذلك في خسائر اقتصادية متنوعة وفي حدوث المجاعات والاوبئة[2]، فعلى سبيل المثال، تسببت فيضانات سنة 653 هـ / 1255 م في ارتفاع الأسعار، حيث بلغ ثمن سطل الشعير ثلاثة دنانير، وارتفع سعر الحطب بدينار لكل رطل نتيجة شدة تلك السنة[3]. كما تضرر اقتصاد مدينة تلمسان دراء الفيضانات التي ضربتها أثناء حصار بني مرين لها عام 758 هـ/1356م[4].

2.إشكاليات الصراع على مياه السقي

نظرا لأهمية عنصر الماء بالنسبة لأي مجتمع فإن نقصه يؤدي إلى اضطراب عام، إذ غالبا ما كان يستعمل كنقطة ضغط من طرف العدو لتضييق الخناق على المدينة المراد حصارها، وذلك بقطع منابعه فقد لجأ بني غانية عند حصارهم مدينة قسنطينة، بأن قطعوا الماء على أهلها حتى كادوا أن يهلكوا[5]. وكذلك أهمية هذا العنصر أيضا جعلت السلطة تقوم بوضع ولاة على المياه تابعين لجهاز القضاء واستحداث خطة صاحب

[1] ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 100-102.

[2] ريم محمود راشد، (2021)، الأمراض والأوبئة وأثرها على مجتمع المغرب الأوسط الزياني خلال القرن السابع الهجري/الثالث الميلادي، مجلة المختار للعلوم الإنسانية، العدد 39(1)، 2021، ص 30-54. https://doi.org/10.54172/s2j9jg84

[3] البيذق، أبو بكر علي الصنهاجي، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين الرباط، دار المنصور للطباعة،1971، ص53.

4 النّميري، ابن الحاج، فيض العباب وإفاضة قداح الأداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب. بيروت، دار الغرب الإسلامي،1990، ص 258.

[5] ابن القنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تع-تح محمد الشاذلي، عبد المجيد التركي، دار التونسية للنشر، 1968، ص103.

المياه[1]، ورغبة منها في تنظيم توزيع المياه كما استحدثت مغارم على الماء كان يدفعها المنتفعون به سواء من أهل المدن أو من أهل القرى لسقي جناتهم[2].

1.2.النزاع بين الأعالي والأسافل

كثيرا ما قامت الخصومات بين الأعالي والأسافل نتيجة استئثار الأعالي بالمياه كون الوضع الجغرافي أنصف سكان الأعالي بأسبقية أولوية السقي على نظرائهم الأسافل[3]، وضمنت لهم الفتاوى حقهم الشرعي فقد أفتى بن رشد قوما اختصموا حول قسمة الماء حيث اشتركوا في نهر قريب يحتكر الأسافل المياه لسقي مزروعاتهم فيما عانى الأعالي وصول المياه لهم فأشار بن رشد إلى أحقية الأعالي وأولويتهم في السقي على الأسافل[4].

2.2.الصراع حول إقامة الأرحبة

كانت الأرحبة هي الأخرى سببا في توتر العلاقة بين العالية والأسافل، وحتى بين أصحاب البساتين وأصحاب الأرحبة، فكان الأعلون في كل مرة يقطعون المياه على الأسافل لعمل أرحبتهم، ويبدو أن النزاعات حول الأرحبة لم تتوقف فكلما زاد تجديف الماء كلما زادت حركة الأرحبة. كما وصلت النزاعات بينهما إلى حد القتل بإحدى أرياف المغرب الأقصى، عندما قام أهل الأعالي بإقامة أرحبة منعت تدفق المياه نحو الأسفل فتقلص منسوب ارتفاع الماء في المنطقة السفلى[5].

---

[1] سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط،(588-927 هـ/ 1192-1520 م) شهادة لنيل ماجستار في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري قسطنطينة، 2008-2009، ص 110.

[2] محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دو تع ماريا خيسوس بغيرا، تق محمد بو عباد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 285.

[3] علي عشي، (استغلال المياه في بلاد المغرب الأوسط نظرة تاريخية أنتروبولوجية)، مجلة العلوم الإنسانية، مجلد 32، العدد 3، ديسمبر 2021، ص 576.

[4] ابن رشد، مسائل أبي الوليد ابن رشد، تح محمد الحبيب التجاني، ج 2، دار الآفاق الجديدة، ط2، 1414هـ 1993م، ص ص 1149-1150-1151

[5] فاطمة بوزاد، (الأرحبة المائية بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط من خلال كتب الجغرافيا والنوازل)، مجلة مدارات تاريخية، دورية دولية محكمة ربع سنوية، المجلد 1، العدد 2، جوان 2019، ص ص 327- 328 -329.

3.2.استحداث سواقي جديدة فوق القديمة

من المشاكل أيضا بين الأعالي والأسافل مشكلة استحداث سواقي جديدة لأهل الأعالي وحبس المياه على الأسافل، كأهل القرية الذين أرادوا رفع ساقيتهم من الوادي الجاري بأرضهم مقدار ميلين فوق الساقية القديمة، فافتى فقهاء بعدم جواز ذلك لوقوع الضرر على ساقية الأسافل[1].

4.2. استحداث زراعات لأهل الأعلون

رفع أهل الأسفلين شكاوى متعددة للفقهاء يطالبونهم فيها بالتدخل العاجل في حل نزاعهم الذي يخص المزروعات التي استحدثها أهل الأعلون وهنا انقلبت القاعدة بأولوية السقي الأسافل"[2].

خلاصة الفصل

تبرز دراسة العلاقة بين الماء والنشاط البشري في بلاد المغرب الأوسط الدور المحوري الذي أذاه هذا المورد الطبيعي في تشكيل العمران ونشأة المدن وتطورها حيث تأسست أهم مدن المغرب الاوسط على وفرة المصادر المائية مثل "تيهرت" و"بيجاية" و"قلعة بني حماد " و"تلمسان" التي ازدهر عمرانها واستقر بها السكان حيث تم الاستعانة بالسدود التقليدية والمساقي لتخزين وجلب مياه الشرب. وتطورت فيها النشاطات الاقتصادية مثل الزراعة. وابتكروا فيها تقنيات كثيرة ساعدتهم على استغلال الماء في السقي مثل "الناعورة" "الشادوف" "الدالية" "الدولاب" كما ظهرت بها الكثير من الصناعات المحلية التي تحتاج في انتاجها الى الماء مثل الصناعة النسيجية ، والفخارية ، وصناعة الارحية،

[1] ألونشريسي، المصدر السابق، ج 5، ص 13

[2] فتيحة قاضي، (قضايا النزاعات بين سكان الأعالي والأسافل حول قسمة المياه من خلال كتب النوازل بالغرب الإسلامي (ق 5-8هـ/11-14م))، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد 25،العدد 2، ديسمبر 2024، ص15.

غير أن استغلال هذه الموارد المائية غير المنتظمة أصلا في توزيعها الجغرافي نتيجة للتأثيرات البيئية والمناخية من جهة ثم الطلب المتزايد عليها للاستغلال البشري من جهة أخرى واجه عدة تحديات أخرى ابرزها فترات الجفاف الذي عانت منه المنطقة وكان على امتداد بعض السنوات سمة مميزة للمنطقة لوقوعها ضمن نطاق المناخ شبه الجاف وهذا ما جعل من الماء عملة نادرة برزت على اثره إشكاليات الصراع حوله خاصة في ما تعلق بالسقي الفلاحي ولعل من ابرز أوجه هدا الصراع سواء كان بين الافراد أو الجماعات هو النزاع بين الأعالي والأسافل والصراع حول إقامة الأرحبة.

الخاتمة

الخاتمة

تبين لنا من خلال المصادر التاريخية أن تقسيم بلاد المغرب إلى ثلاث وحدات كبرى : المغرب الأدنى والأوسط والأقصى لم يكن مجرد تصنيف جغرافي بل كان انعكاسا لتفاعلات طبيعة و بشرية متداخلة خلال فترة العصر الوسيط ما جعل رسم الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط ضمن خارطة المغرب الاسلامي في العهد الوسيط مسألة معقدة يصعب الفصل فيها بدقة لعدم استقرارها على وضع معين وذلك راجع لجملة من العوامل الطبيعية والسياسية والقبلية جعلت حدوده غير ثابتة في الفترة الوسيطة.

يُشكل الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط عنصرا حاسما لفهم توزيع الموارد الطبيعية فيه إذ إن موقعه وتضاريسه المتنوعة واتساع اقاليمه المناخية ساهمت في تنوع مصادر الماء السطحية والجوفية وفي توزيعها الجغرافي المتباين .

تبرز دراسة جغرافية الموارد المائية في المغرب الأوسط من خلال المصادر الجغرافية والتاريخية الأهمية البالغة التي اكتسبها هذا المورد الحيوي في تشكيل المجال الجغرافي وتنظيم حياة السكان خلال العصر الوسيط فقد كشفت المعطيات الجغرافية عن تنوع في توزيع مصادر المياه بين السطحية والجوفية، وهي تتراوح بين الوفرة النسبية في الشمال وتقل بالتدريج كلما اتجهنا جنوبا فهناك العديد من الاودية المهمة خاصة في الجزء الشمالي التي عرفت بجريانها المتذبذب مثل "واد بونة" "واد قسنطينة" "واد الرمل" واد الشلف" "واد المالح" واد مينا" ويرتبط جريانها ارتباطا وثيقا بعوامل طبيعية أهمها المناخ المتغير بتغير فصول السنة وتنوع التضاريس. إن عدم الانتظام في جريان هذه الاودية فرض على الانسان التدخل بوضع قواعد تنظم طرق توزيعه واستخدامه مستمدة من الشريعة الإسلامية للحفاظ عليها وعدم الإسراف فيها وضبط تسييرها بما يضمن العدالة بين مختلف المستخدمين تتماشى مع ظروف الوفرة والندرة لكل منطقة.

بينت المصادر الجغرافية التاريخية أن الماء لم يكن مجرد مورد طبيعي في بلاد المغرب الاوسط بل شكل محورا أساسيا في نشأة المدن ونموها العمراني والاستقرار البشري بها وتنامي دورها السياسي على غرار مدن "تاهرت" و"بيجاية"

و"قلعة بني حماد" و "تلمسان" التي تبين ان الماء ساهم بشكل أساسي في نموها العمراني وفي وظيفتها السياسية وازدهارها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

ساهم الماء كذلك بتطوير الأنشطة البشرية بها كالفلاحة التي تأقلم الناشطون فيها على مقدار وفرتها وحسب ضروراتهم على ابتكار تقنيات مفيدة للسقي من المياه السطحية سواء المتعلقة بتخزين المياه كإنجاز السدود وكذلك طرق نقل وتحويل المياه كالسواقي اما المياه الجوفية فقد استعملها الفلاحون عن طريق حفر الابار وتبرز تقنية الفقارة كأحد اهم الاعمال الهندسية المائية الدقيقة لاستغلال المياه الباطنية في ري الأراضي الفلاحية في الصحراء.

شهدت بلاد المغرب الأوسط ضغطا متزايدا على الموارد المائية جراء التوسع العمراني المتسارع لمدنه ونمو الأنشطة البشرية بها كالصناعة والفلاحة إضافة الى التحديات الطبيعية الناجمة عن بعض فترات الجفاف او حتى الفيضانات حيث عرف المغرب الأوسط فترات طويلة من الجفاف والقحط، ما عمق أزمة ندرة المياه وشكل تهديدا للقدرة الإنتاجية للقطاع الفلاحي كما تعد الفيضانات ظاهرة متكررة في بعض المناطق ناتجة عن تغيرات مناخية مفاجئة وهطولات غزيرة غير منتظمة أدت احيانا إلى أضرار واسعة على المحاصيل الزراعية.

نتيجة تداخل العوامل الطبيعية والبشرية السابقة مثل الموقع الجغرافي والتضاريس والمناخ المتراوح ما بين ندرة الامطار أحيانا الى حدوث فيضانات مدمرة أحيانا أخرى، تشكل في بلاد المغرب الأوسط مشهدا مائيا يتسم بعدم الانتظام والتفاوت في التوزيع الزمني والمكاني، شهدت معه عبر تاريخها اضطرابات متعددة زاد من حدتها الطلب المتزايد على المياه سواء للاستعمالات المنزلية أو في الفلاحة والصناعة، ما أدى الى بروز عدة نزاعات محلية حول أحقية الانتفاع بالماء سواء بين الافراد أو الجماعات خاصة في المناطق الفلاحية التي تعتمد بشكل مباشر على الموارد السطحية والجوفية وهذا ما يبرز مدى التفاعل بين الانسان والماء في بلاد المغرب الأوسط حيث ساهم الماء في بناء المدن وتطوير الأنشطة البشرية ونمائها الاقتصادي والاجتماعي بها لكنه كان كذلك سببا في بروز أزمات وصراعات عديدة خلال طيلة فترة العصر الوسيط في بلاد المغرب الأوسط .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: القران الكريم رواية ورش عن نافع

ثانيا: أحاديث نبوية

ثالثا: كتب ومقالات

- ابن حزم، أ. ا. (2003). الفصول في الملل والأهواء. مكتبة الأنجلو المصرية.
- ابن حوقل، أ. ق. م. (1992). صورة الأرض. دار صادر.
- ابن خلدون، ع. (2000). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر. دار الفكر.
- ابن عايدين، م. أ. (1423 هـ / 2003 م). رد المحتار على الدر المختار (ج1). دار الكتب العلمية.
- ابن عذارى، ا. (1983). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. دار الثقافة.
- ابن منظور. (د.ت). لسان العرب. دار المعارف.
- ابن الحاج النّميري ، (1990) فيض العباب وإفاضة قداح الأداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب. بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- ابن وحشية، أ. ب. أ. (1993). الفلاحة النبطية (ص 56–57). دار المعهد العلمي الفرنسي.
- أبو بكر علي الصنهاجي البيذق، (1971)، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين الرباط، دار المنصور للطباعة.
- أبو زيدون، و. (2011). التاريخ الأندلس. دار الأهلية.
- أبو سمور، ح.، & الخطيب، ح. (1999). جغرافية الموارد المائية. دار صفاء للنشر.
- أبي زيد، س. ب. م. (1994). طبقات الفقهاء. دار القلم.
- الإدريسي، م. ب. (2000). نزهة المشتاق. مكتبة الثقافة الدينية.
- الإدريسي، م. ش. (2002). نزهة المشتاق. مكتبة الثقافة الدينية.
- أزرار، ل. (2021–2022). النشاط الفلاحي في الغرب الإسلامي [محاضرات ماستر]. جامعة البويرة.
- إسماعيل، أ. ق. م. (د.ت). تقويم البلدان. دار الصادر.
- بخدة، ظ. (2018). التحركات والمجرات القبلية والسكانية في المغرب الأوسط خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين. دار القدس العربي.
- البكري، أ. ع. (د.ت). المغرب في ذكر إفريقية والمغرب. دار الكتاب الإسلامي.

- بن عمير، م. (2017). الفتح الإسلامي لبلاد المغرب. ديوان المطبوعات الجامعية.
- بن عيسى، ع. ق. (1983). التاريخ العربي. دار الفكر.
- بوعزيز، ي. (2009). الموجز في تاريخ الجزائر. ديوان المطبوعات الجامعية.
- الجبرين، ع. ا. (2003). أصول الفقه. دار السلام.
- الحريري، م. ع. (1987). الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط. دار القلم.
- حسن، ح. ع. (1980). الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "المرابطين والموحدين". مكتبة الخانجي.
- حمودة، ع. ح. (2007). تاريخ المغرب في العصر الإسلامي. الدار الثقافية.
- الحموي، ي. (1977). معجم البلدان (ج1). دار الصادر.
- الحميري، م. ع. (1975). الروض المعطار. مكتبة لبنان.
- الخفاف، ع. ع. (1998). جغرافية العالم الإسلامي. دار الشروق.
- دار المعارف. (1995). تاريخ المغرب العربي (ج4). الإسكندرية.
- دبوز، م. ع. (2010). تاريخ المغرب الكبير. مؤسسة تاوالت الثقافية.
- ذنون طه، ع. و. وآخرون. (2004). تاريخ المغرب العربي. دار المدار الإسلامي.
- الزركلي، ج. (2002). قاموس الأدب العربي (ج01، ص 170). دار العلم للملايين.
- الزهري، أ. أ. ب. م. (د.ت). كتاب الجغرافية. مكتبة الثقافة الدينية.
- الزوكة، م. خ. (2000). جغرافية العالم الإسلامي. دار المعرفة الجامعية.
- سالم، س. ع. (1988). تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس. دار النهضة العربية.
- سالم، س. ع. (د.ت). تاريخ المغرب في العصر الإسلامي. مؤسسة الشباب الجامعة.
- السامرائي، ف. س. (د.ت). تاريخ المغرب العربي. دار الصادف الثقافية.
- الظاهر، ن. (1999). جغرافية الوطن العربي. دار اليازوري.
- العبادي، أ. م. (د.ت). في تاريخ المغرب والأندلس. دار النهضة العربية.
- عبد العزيز، م. (1447 هـ / 1998 م). الماء في الفكر الإسلامي والأدب العربي (ج61). دار مملكة المغربية.
- عكاز أولى، م. ع. (د.ت). أحكام ترشيد المياه في الفقه. العدد 53.
- عمارة، م. (2005). موسوعة الفقه الإسلامي. دار السلام.
- عيد، ع. (1998–1999). قصة وتاريخ الحضارات العربية.
- الغنيمان، ع. (2002). أصول الفقه. دار السلام.
- فارس الهيثي، ص.، & أبو سمور، ح. (1899–1420هـ). جغرافية الوطن العربي. دار الصفاء.

- الفقي، ع. د. ع. (د.ت). تاريخ المغرب والأندلس. مكتبة النهضة الشرق.
- الفيروزآبادي، م. ي. (2008). القاموس المحيط. دار الحديث.
- فيلاني، ع. (2014). بحوث في تاريخ المغرب الأوسط. دار الهدى للطباعة.
- لعروق، م. ا. (د.ت). أطلس الجزائر والعالم. دار الهدى.
- مجمع اللغة العربية. (1989). المعجم الوجيز. القاهرة.
- موسى، ع. أ. (1983). النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي. دار الشروق.
- مؤنس، ح. (د.ت). معالم تاريخ المغرب والأندلس. مكتبة الأسرة.
- النميري، ا. ا. ح. (1990). السعيدة إلى قسطين والراب. دار الغرب الإسلامي.
- هواري، م. (2021). بلدان المغرب العربي دراسة جغرافية. مجلة رؤى تاريخية والدراسات المتوسطية.
- ريم محمود راشد، (2021)، الأمراض والأوبئة وأثرهما على مجتمع المغرب الأوسط الزياني خلال القرن السابع الهجري/الثالث الميلادي، مجلة المختار للعلوم الإنسانية، العدد 39(1)، 2021، ص 30-54. https://doi.org/10.54172/s2j9jg84

رابعا: أطروحات، رسائل ومذكرات تخرج

- أزرار، ل. (2021-2022). النشاط الفلاحي في الغرب الإسلامي، محاضرات ماستر. جامعة البويرة.
- بن عميرة، م. (2004-2005). الموارد المائية وطرق استغلالها ببلاد المغرب، رسالة دكتوراه. جامعة الجزائر.
- راضي، ع. (2010). أثر الشريعة الإسلامية في تنظيم المياه، رسالة ماجستير. جامعة الأزهر.
- العبادسة، ف. ع. (2002). الماء في القرآن الكريم، مذكرة ماجستير. كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة.
- هنائي، ج. (2020-2021). نظام الري بالدولة الزيانية، رسالة دكتوراه. جامعة تلمسان.
- هنائي، ج. (2020-2021). نظام الري بالدولة الزيانية، رسالة دكتوراه. جامعة تلمسان.
- هواري، م. (2015-2016). تقنيات الزراعة ببلاد المغرب، أطروحة دكتوراه. جامعة الجزائر.
- وسيلة، ع. (2012-2013). الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير. جامعة قسنطينة 2.
- وسيلة، ع. (2012-2013). الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير. جامعة قسنطينة 2.

خامسا: مجلات علمية وأبحاث

- أحمد، س. (2012). دور الماء في الحضارات القديمة. مجلة الدراسات التاريخية.
- البوعزيزي، ع. ر. (2015). الماء في الإسلام بين النظرية والتطبيق. مجلة البحوث الإسلامية.
- الصالح، ع. ر. (2004). بعض أحكام الماء في الشريعة الإسلامية. مجلة الدراسات الإسلامية.
- الفضل، ع. ع. (2011). مفهوم المياه في الفكر الإسلامي. مجلة العلوم الشرعية.
- قاسم، ع. (2010). الماء في الإسلام. مجلة كلية الشريعة، الجامعة الإسلامية غزة.
- يوسف، ح. (2008). الماء وأثره في تاريخ المغرب. مجلة التاريخ العربي.

سادسا: المراجع الأجنبية

- Jeon des pais. (1949). L'Afrique Blanche l l'Afrique du nors. Presse universitaires de france.

الملاحق

خريطة 06 التضاريس في الجزائر

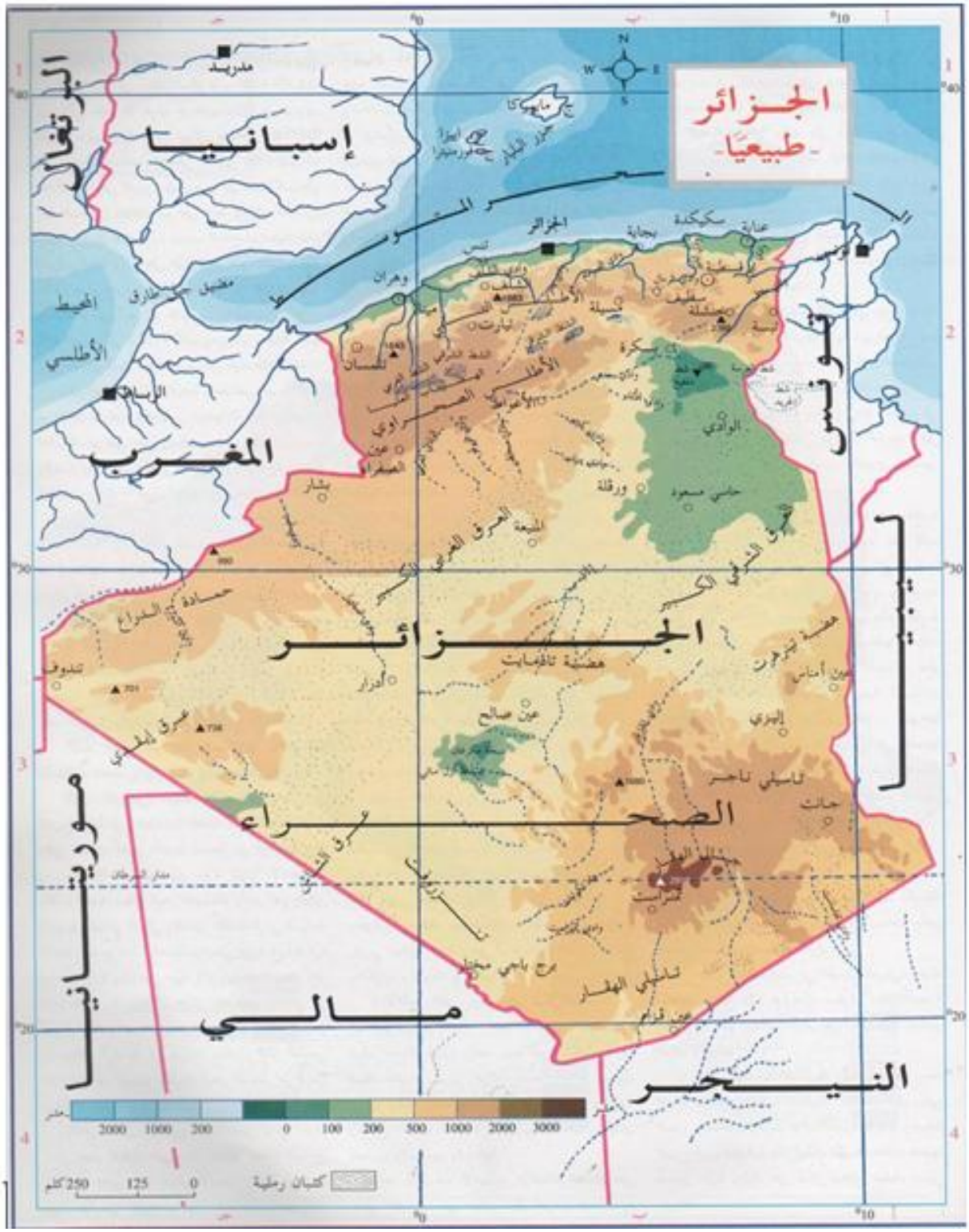

المصدر: محمد الهادي لعروق، سميرة بوريمة: أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، عين مليلة، 1998.

خريطة 07 الأقاليم المناخية في الجزائر

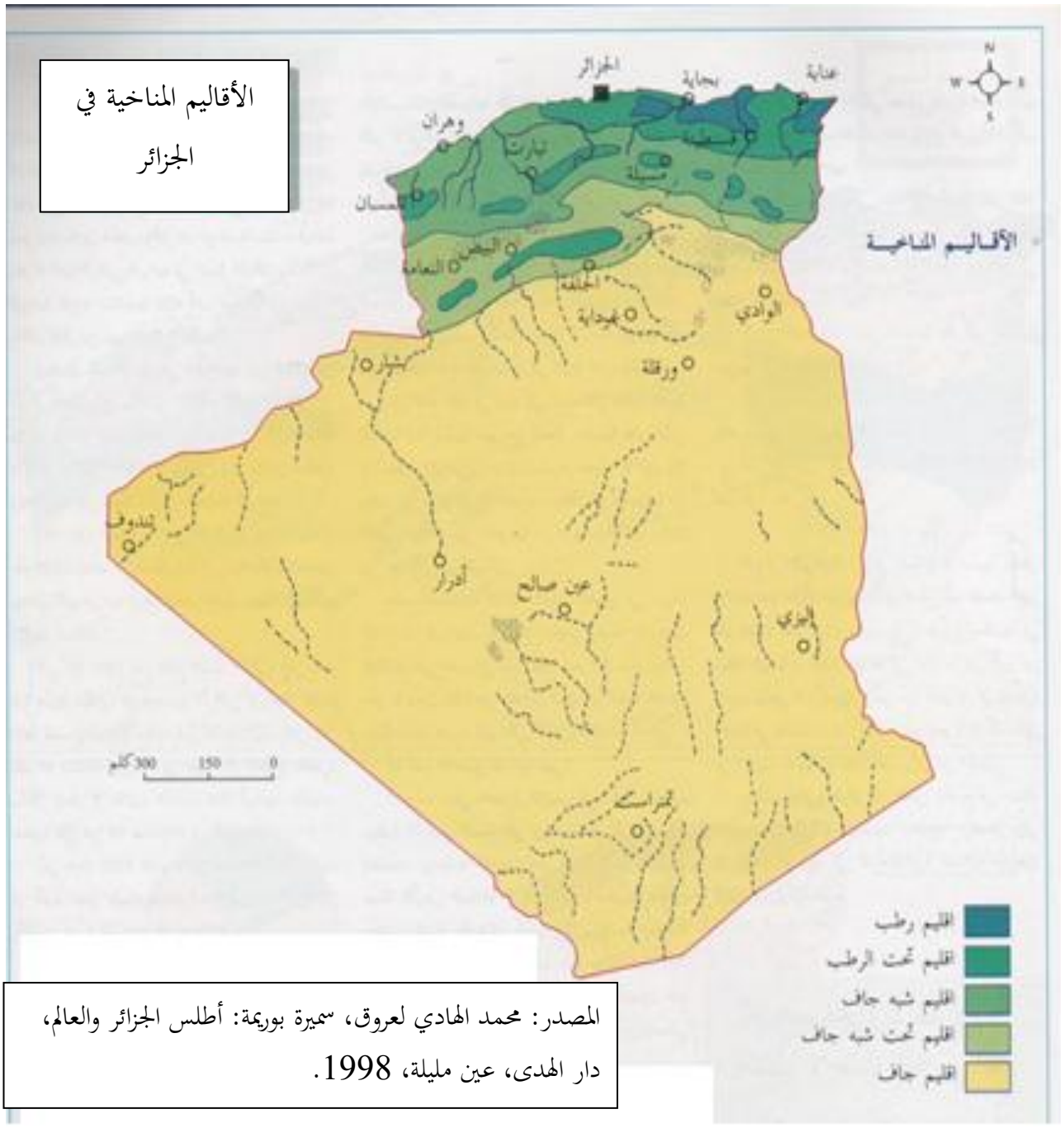

المصدر: محمد الهادي لعروق، سميرة بوريمة: أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى، عين مليلة، 1998.

صورة 02 طريقة عمل الساقية

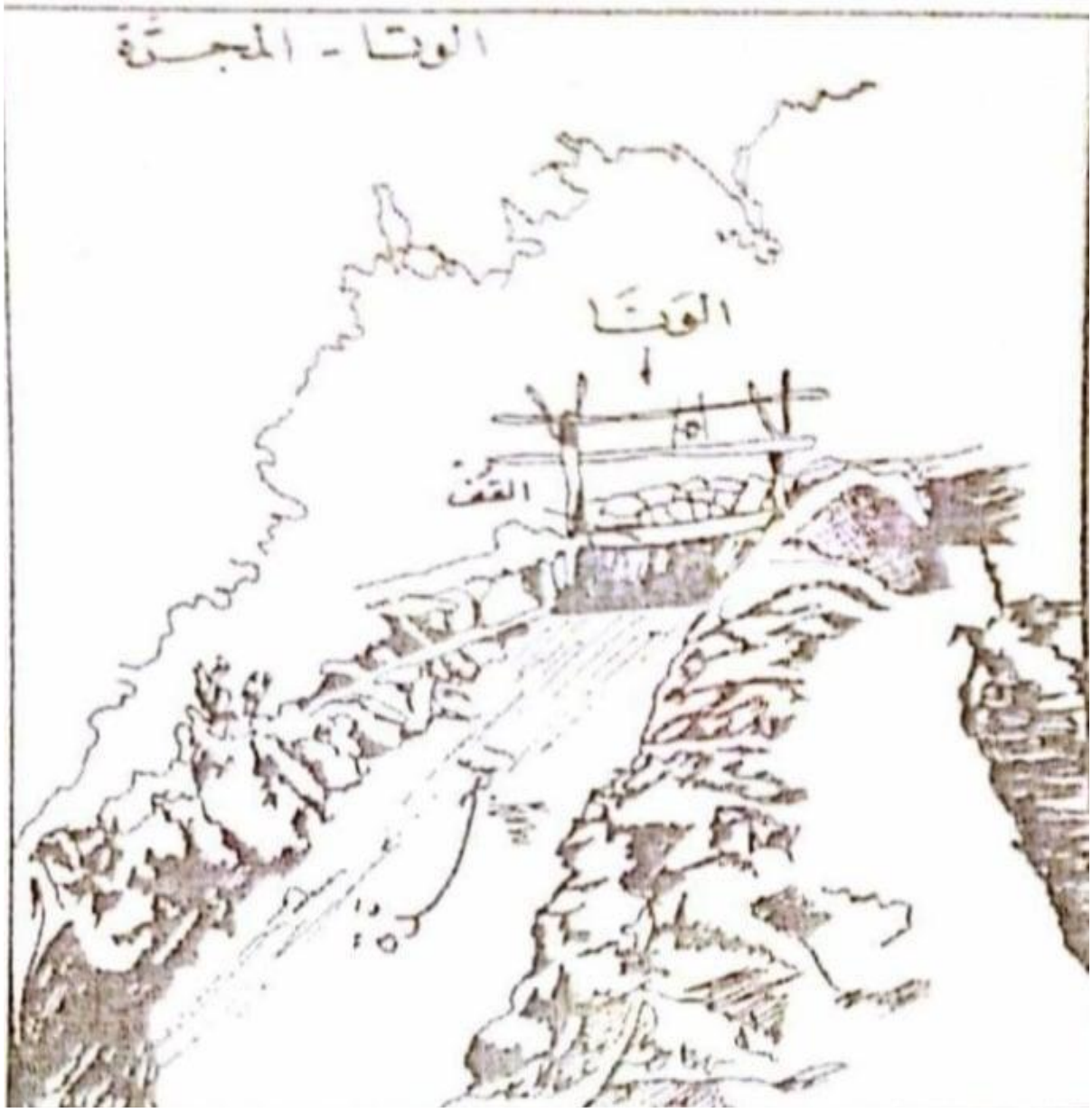

صورة 03 طريقة توزيع الماء عبر نظام الفقارة

https://radioalgerie.dz/news/ar/reportage/77619.html بتاريخ 27 ماي 2025

صورة رقم 04 رسم تخطيطي لمبدأ عمل الفقارة

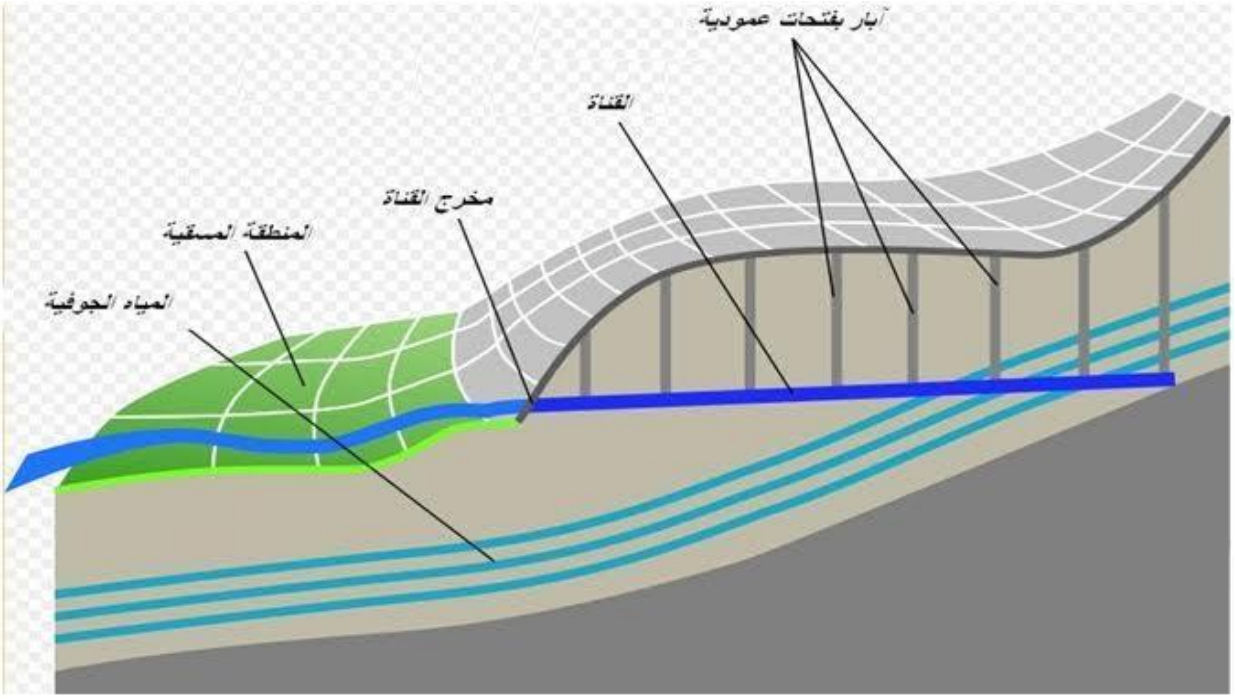

https://radioalgerie.dz/news/ar/reportage/77619.html بتاريخ 27 ماي 2025

فهرس الخرائط

رقم الخريطة	عنوان الخريطة	رقم الصفحة
خريطة 01	موقع المغرب الأوسط ضمن المنطقة الحرارية المعتدلة الشمالية	24
خريطة 02	توزيع الاودية والانهار في بلاد المغرب الأوسط خلال ق 1 هـ و 6هـ	30
خريطة 03	توزيع الاودية في الجزء الغربي من المغرب الأوسط	35
خريطة 04	توزيع العيون في بلاد المغرب الأوسط خلال ق 1 هـ و 6هـ	37
خريطة 05	توزيع الابار في بلاد المغرب الأوسط ق 1 هـ و 6هـ	40
خريطة 06	التضاريس في الجزائر	83
خريطة 07	الأقاليم المناخية في الجزائر	84

فهرس الصور

رقم الصورة	عنوان الصورة	رقم الصفحة
صورة رقم 01	توزيع المياه الطبيعية في الارض	10
صورة رقم 02	طريقة عمل الساقية	85
صورة رقم 03	طريقة توزيع الماء عبر نظام الفقارة	86
صورة رقم 04	رسم تخطيطي لمبدأ عمل الفقارة	86

الفهرس العام

المقدمة ---------- 1

الفصل التمهيدي ---------- 8

تمهيد ---------- 9
1.الماء في الطبيعة ---------- 9
2.أهمية الماء في الشرع الاسلامي ---------- 10
1.2.المفهوم اللغوي والاصطلاحي للماء ---------- 10
2.2.الماء في القران الكريم ---------- 12
3.2.الماء في السنة النبوية: ---------- 13
3. التعريف بمنطقة الدراسة : الخصائص الجغرافية ---------- 14
1.3.التقسيم الترابي لبلاد المغرب---------- 14
4.المجال الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط---------- 16
1.4. الحدود السياسية لبلاد المغرب الأوسط حسب المصادر التاريخية ---------- 16
2.4.الاطار الطبيعي لبلاد المغرب الأوسط ---------- 19
خلاصة الفصل---------- 21

الفصل الاول الموارد المائية في بلاد المغرب الأوسط بين حتمية التوزيع الطبيعي وقواعد التسيير البشرى- 22

تمهيد ---------- 23
I. مناخ بلاد المغرب الأوسط ---------- 23
1.الحرارة في بلاد المغرب الاوسط---------- 25
2.التساقطات المطرية---------- 26
3.الأقاليم المناخية في بلاد المغرب الأوسط---------- 27
1.3. مناخ البحر الأبيض المتوسط---------- 27
2.3. مناخ الإستبس ---------- 28
3.3. المناخ الصحراوي---------- 28
II.توزيع الموارد المائية في بلاد المغرب الأوسط---------- 29
1.1.شبكة المجاري المائية السطحية: الأودية والأنهار حسب المصادر التاريخية ---------- 29
2.1.التحليل الجغرافي لمحتوى خريطة توزيع الاودية والانهار في المغرب الأوسط---------- 34
2.توزيع المياه الباطنية ---------- 36
III. تسيير موارد الماء في بلاد المغرب الاوسط---------- 43
1.تسيير المياه السطحية ---------- 44
1.1.تسيير المياه الجارية الطبيعية---------- 44
2.1. تسيير المياه الجارية غير الطبيعية---------- 45
2.تسيير المياه الجوفية: ---------- 46
1.2. تسيير مياه العيون:---------- 46
2.2. تسيير مياه الآبار الخاصة بالاستعمالات المنزلية.---------- 47
خلاصة الفصل---------- 49

الفصل الثاني الماء والنشاط البشري في بلاد المغرب الاوسط الأهمية والعقبات ----- 50

تمهيد ---------- 51
I.الماء والعمارة في بلاد المغرب الاوسط---------- 51
1.مدينة تهرت---------- 52

2 . قلعة بني حماد ---------- 53
3. بجاية ---------- 54
4. مدينة تلمسان ---------- 55
2.طرق تخزين المياه في بلاد المغرب الأوسط: ---------- 57
1.2.السدود ---------- 57
2.2.المساقي ---------- 57
3.2.الصهاريج والبرك ---------- 58
4.2.المواجل ---------- 59
5.2. الفقارة: ---------- 59
II. اهمية الماء في النشاطات البشرية ---------- 60
1.استعمالات الماء المنزلية: ---------- 60
2. استغلال الماء في الزراعة ---------- 62
1.2. تقنيات الري الزراعي في المغرب الأوسط ---------- 62
أ.الدالية ---------- 62
ب.الناعورة ---------- 63
ج. الشادوف ---------- 63
د. الدولاب ---------- 63
ه. الدلو ---------- 63
و. الساقية: ---------- 64
3.الماء والنشاط الصناعي في بلاد المغرب الأوسط ---------- 64
1.3.الصناعة النسيجية ---------- 64
2.3. الصناعة الفخارية ---------- 66
3.3. صناعة الأرحية ---------- 67
III.العقبات والمشاكل المرتبطة باستغلال المياه في بلاد المغرب الأوسط ---------- 68
1.العقبات الطبيعية ---------- 68
1.1. الجفاف والقحط: ---------- 68
2.1. الفيضانات ---------- 70
2.إشكاليات الصراع على مياه السقي ---------- 71
1.2.النزاع بين الأعالي والأسافل ---------- 72
2.2.الصراع حول إقامة الأرحبة ---------- 72
3.2.استحداث سواقي جديدة فوق القديمة ---------- 73
4.2. استحداث زراعات لأهل الأعلون ---------- 73
خلاصة الفصل ---------- 73

الخاتمة ---------- 75

قائمة المصادر والمراجع ---------- 78

الملاحق ---------- 82

فهرس الخرائط ---------- 87

فهرس الصور ---------- 87

الفهرس العام ---------- 88
الملخص: ---------- 90

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوع الموارد المائية في بلاد المغرب الأوسط، باعتباره أحد العناصر الأساسية في بناء الاستقرار البشري وتطور المجتمعات. وقد ركزت الدراسة على تنوع هذه الموارد من أنهار وعيون وآبار، والعوامل الطبيعية التي تتحكم في توزيعها واستغلالها.

كما تم تحليل طرق استخدام الماء في الأنشطة الزراعية والصناعية، وإبراز دوره في تشكيل المجال المعمر وتحفيز قيام المراكز العمرانية. وبهذا تبرز المذكرة الترابط بين الماء، والبيئة والنشاط الإنساني في المنطقة.

الكلمات المفتاحية: الموارد المائية، المغرب الأوسط، الأنشطة الاقتصادية، العوامل الطبيعية الأنهار العيون، الآبار.

Abstract:

This research addresses the topic of water resources in the Central Maghreb, considering it one of the fundamental elements in establishing human stability and the development of societies. The study focuses on the diversity of these resources, such as rivers, springs, and wells, as well as the natural factors that influence their distribution and utilization.

It also analyzes the ways water is used in agricultural and industrial activities, highlighting its role in shaping inhabited areas and stimulating the development of urban centers. Thus, the study emphasizes the interconnection between water, the environment, and human activity in the region.

Keywords: Water resources, Central Maghreb, economic activities, natural factors, rivers, springs, wells.